مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤

النيل والناس في مصر خلال العصرين الفاطمي والأيوبي (٣٥٨-٦٤٨هـ / ٩٦٩-١٢٥٠م) في ضوء أوراق الجنيزا

أحمد سعيد السيد رزق(*)

الملخص

هذا البحث محاولة لاستكشاف نهر النيل فى حقبة محددة من العصر الإسلامي من خلال مقاربة سردية موازية، لما استقر في المدونات الأدبية والمصنفات التاريخية التقليدية، وذلك بالاعتماد على أوراق وقصاصات الجنيزا القاهرية، بوصفها مصدراً فريداً ومباشراً، يتسم بالصدق والعفوية، نظراً لكونه لم يُدوَّن بقصد التأريخ، بل جاء نتيجة تفاعلات يومية وواقعية، وهو ما منحه قيمة توثيقية عالية تكشف عن جوانب مغفلة في تاريخ هذا النهر الخالد، لم تُظهرها المصادر التقليدية أو الدراسات التاريخية الحديثة على حد سواء، كونها كانت عوائد اعتيادية تقليديه آنذاك، وقد سعى الباحث من خلال هذه الأوراق والقصاصات إلى تسليط الضوء على طبيعة العلاقة الحيوية والمتشابكة بين الناس ونهر النيل خلال العصرين الفاطمي والأيوبي، وهي علاقة تجلت في مسميات النهر المختلفة، ونعوته المتعددة، وأثره في الوعي الشعبي الجمعي. ومحاولات الأهالي والأفراد لقياس فيضان النيل ورصد أحواله بين الوفاء والنقصان، ما يدل على أن الاهتمام بالنهر لم يكن حكراً على السلطة أو النخبة آنذاك، بل كان جزءاً من انشغال يومي لأفراد المجتمع وشرائحه المختلفة. كما تناول البحث حضور النيل في الثقافة اليومية من خلال الأدعية، والكنى، والألقاب، والانتماءات الجغرافية المتصلة بقرى ومدن تقع على مجراه. وناقشت كذلك ظاهرة التنقّل عبر النهر، سواء لحركة الأفراد أو لنقل البضائع، وما ترتب على ذلك من آثار مباشرة على التجارب المعيشية للأفراد، فضلًا عن أثره في تشكيل آليات التسعير وحركة السوق، كما طرح الباحث فرضية، مفادها؛ أنه يمكن من خلال تتبّع قصاصات أوراق الجنيزا التي أشارت لمسارات التنقّل عبر نهر النيل، سواء للأفراد أو البضائع، رصد أهم الموانئ والمرافئ النهرية الممتدة من الجنوب إلى الشمال. وكيف شكلت هذه المحطات نقاطًا حيوية لفهم شبكة النقل والتواصل الاقتصادي؟!، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد يساعد ذلك في تعميق المعرفة بالتقسيمات الإدارية التاريخية للـــ(الكور والأعمال)، فغالبية هذه الوحدات كانت مرتبطة جغرافياً ووظيفياً بالنهر. وفي ختام البحث، خلص الباحث إلى أن نهر النيل لم يكن مجرد مكوّن جغرافي طبيعي في الداخل المصري، بل كان نسيجاً حيًّا من حياة المجتمع، انعكست صورته في الخطابات والعقود والمعاملات اليومية، بصورة لم تلتفت إليها المصادر الأدبية التقليدية، لكنها حضرت بجلاء وعمق في قصاصات الجنيزا، التي شكلت مرآة واقعية لعلاقة الناس بالنهر، في وعائهم الزمني الذي انصهرت بداخله هذه العلاقات.

الكلمات المفتاحية: مصر، النيل، العصر الفاطمي، العصر الأيوبي، قصاصات الجنيزا.

(*) مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الآداب _جامعة بنها Ahmad.rizq@fart.bu.edu.eg

the Nile and the People in Egypt during the Fatimid and Ayyubid Periods (358–648 AH / 969–1250 CE) Based on the Geniza Fragments

Abstract

This study attempts to explore the Nile during a particular phase of the Islamic era through a narrative approach parallel to what is recorded in traditional literary works and historical chronicles. It relies primarily on the Cairo Geniza fragments, which constitute a unique and direct source distinguished by authenticity and spontaneity. Unlike conventional histories, these texts were not written with the intention of chronicling events but rather emerged from daily interactions and lived realities. This grants them exceptional documentary value, revealing overlooked aspects of the Nile's history that neither classical sources nor modern historical studies highlighted, since they were once regarded as ordinary and routine. Through these papers and scraps, the researcher sought to illuminate the dynamic and interwoven relationship between people and the Nile during the Fatimid and Ayyubid periods. This relationship is reflected in the river's multiple names and epithets, and in its deep imprint on collective popular consciousness. The fragments also capture how individuals and communities measured the Nile's flood levels and monitored its fluctuations, indicating that concern for the river was not limited to rulers or elites but formed part of the daily preoccupations of society at large. The study further examines the Nile's presence in everyday culture through prayers, nicknames, titles, and geographical identities tied to villages and towns along its course. It also discusses riverine mobility—both the movement of people and the transport of goods—and its direct impact on lived experiences, pricing mechanisms, and market activity. The researcher proposes that tracing Geniza references to journeys on the Nile makes it possible to identify key ports and landing sites from south to north. These stations not only illuminate networks of transport and economic exchange but also enrich our understanding of Egypt's historical administrative divisions (kūr and aʿmāl), most of which were geographically and functionally connected to the river. Ultimately, the study concludes that the Nile was not merely a natural geographic feature but a living fabric of social life, mirrored vividly in contracts, letters, and everyday documents preserved in the Geniza—materials that reveal, more than formal histories, the profound entanglement between Egyptians and their eternal river.

Keywords: Egypt – Nile – Fatimid Period – Ayyubid Period – Geniza Fragments.

قائمة الاختصارات

المختصر	دلالته
AIU	Alliance Universelle
Bodl	Bodleian Library
CUL T-S	Cambridge University Library, Taylor-Schechter
Firk.	National Library of Russia, Firkovitch Collection
JRL	John Rylands Library, University of Manchester
JTS	Jewish Theological Seminary Library

المقدمة

يسعى هذا البحث، والمعنون بـ" ***النيل والناس في مصر خلال العصرين الفاطمي والأيوبي (٣٥٨-٦٤٨هـ / ٩٦٩-١٢٥٠م)" في ضوء أوراق الجنيزا*** " إلى إلقاء الضوء على جوانب تاريخية، لم يُلتفت إليها بحثيًّا عند التأريخ لنيل مصر في السياقات الإسلامية [١]، عدم الالتفات هذا، في حقيقة الأمر، لم يكن سببه قلة الدراسات البحثية[٢]، بل على العكس هي كثيرة جداً، كثرتها جاءت تعكس قيمة النيل ومكانته فى تاريخ مصر عموماً، كأحد مكونات هوية مصر ومكانتها التاريخية، إنما عدم التفاف هذه الدراسات لهذه الجوانب جاء فى حقيقة الأمر نتيجة اكتفاء الرؤى البحثية لجميعها، على ما ورد عن هذا النهر في المصادر الأدبية المدونة، علاوة على بعض الوثائق البردية الخاصة بمعاملات سلطانية أو فردية[٣]، ولكن بنسبة أقل، حتى الموضوعات الجادة من هذه الدراسات[٤]، والتي تعرضت للنيل فى المخيلات والأساطير العربية، جاءت قاصرة عند تناول هذا المخيل على المصادر الأدبية التاريخية المدونة، كما أن تلك الدراسات التي أُنجزت حديثًا في المضمار الأكاديمي التخصصي عن النيل[٥] ، فقد جاءت هي الأخرى متجاهلة قيمة

---

(١) أنطوان زكري: ***النيل في عهد الفراعنة والعرب***، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ١، ١٩٩٥)، ص٨٣.؛ محمد جمال الدين الفندي: ***النيل***، سلسلة العلم والحياة، مراجعة مهندس سعد شعبان (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣)، ص ٢٧.؛ عبد الحميد سليمان، ***الملاحة النيلية في مصر العثمانية ١٥١٧-١٧٩٨م***، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠)، ص٩-١١.

(٢) محمود رزق سليم: ***النيل في عصر المماليك***، سلسلة المكتبة الثقافية رقم(١٣٢)، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥)، ص٧-١٠.؛ محمد حمدي المناوي، **نهر النيل في المكتبة العربية**، (القاهرة: للدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٦)، ص؛ قاسم عبده قاسم: **النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، (القاهرة: دار المعارف، ط ١، ١٩٧٨)، ص١٣.؛ عبد المنعم ماجد: "**النيل في رسوم الدولة الفاطمية في مصر**"، أعمال الندوة الدولية لحوض النيل، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة (مارس ١٩٨٧)، ص ١٣٥.

(٣) سعيد مغاوري: "**النيل في نصوص برديات القرن الأول الهجري**"، بحث منشور في كتاب: بحوث ودراسات في البرديات العربية، تقديم زاهي حواس، سلسلة الوعي الأثري، مشروع المائة كتاب (٥٩)، ج ١ (القاهرة: المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٩)، ص١٣٦.

(٤) عمرو منير، **مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور**، سلسلة الدراسات الشعبية، العدد ١٢٦ (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٩)، ص١٤. ؛ عمر عبد العزيز منير، **النيل والشخصية المصرية (أساطير وحكايات)**، (القاهرة: فرست بوك للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٢م)، ص١١٣.

(٥) يُنظر؛ صفاء محمد جابر صالح: النيل وآثاره السياسية والحضارية على مصر منذ بداية العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي الأول (٣٥٨-٧٨٤هـ/٩٦٧-١٣٩٣م)، رسالة دكتوراه، (جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ٢٠١٨م)، المقدمة، ص (ح-ن).؛ انظر أيضا؛ هيام طه صالح حسب الله:**نهر النيل وأثره على المجتمع المصري خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)**، رسالة ماجستير، (جامعة أسوان، كلية الآداب، ٢٠٢٣م، ص ١٢.؛ وأيضًا للباحثة بحث في هذا المنحى؛ نشرته كمتطلب من متطلبات الحصول على الدرجة المقدَّمة عليها، ولكن يُلاحظ أنه نُشر بعد المناقشة، وجاء خالياً من ذكر أهمية قصاصات الجنيزا في دراسة النيل. للمزيد،

أوراق وقصاصات الجنيزا في هذا المنحى، وعلى المنوال ذاته، فإن الدراسات التاريخية[١] الصادرة عن المدارس الغربية في تناولها للنيل – على أهميتها – قد أغفلت هي الآخرى تماماً الإشارة إلى ما تضمنته أوراق الجنيزا من معطيات، كان من شأنها أن تفتح آفاقًا جديدة لفهم جوانب من تاريخ هذا النهر الخالد[٢]، إذ أنها تتيح لمتناولها الاطلاع على رؤى الفئات المهمشة ووجهات نظرها تجاه هذا النهر الخالد، وهو بعدٌ ظلّ غائباً عن أغلب المعالجات التاريخية التقليدية.

ما سبق؛ ليس معناه أن أوراق الجنيزا وما ورد فيها هو الحقيقة المطلقة فى الجانب التاريخي الخاص بهذا النهر أو غيره، فهذا لا يصح فى البحث العلمي الجاد قوله، ولكن قيمة هذه الأوراق تتمثل في أنها لم تكتب أساساً لغرض التاريخ أو التأريخ، وهو ما ينفي عنها عوامل الغرضية والتحيز، تلك التي سيطرت على المصادر الأدبية الاعتيادية في كثير من الأحيان، وفى موضوعنا محط البحث؛ فأنها _أي قصاصات الجنيزا_ تقدم رؤية عن نهر النيل من خلال كتابات من تفاعلوا معه وعاشوا على ضفافه أنفسهم، مما يجعل هذه الأوراق قادرة على تقديم تصوّر، بل ومقاربة معتبرة لمخيّلة الأهالي ورؤيتهم تجاه العديد من القضايا التاريخية للعصور التي نتجت عنها[٣]، ومن الطبيعي أن يكون من بينها، رؤية المهمشين فى تلك العصور[٤]، ومخيّلتهم تجاه نهر مصر الخالد (نهر النيل)، ذلك النهر الذي التفَّ ولا يزال حوله الأهالي التفاف الأبناء حول أمهم، وأرتبطت به وبأحواله أوضاعهم ومهنهم ومعايشهم.

ولعلّ ذلك يتجلّى عند رصد المجالات الجغرافية العامرة بالسكان في مصر طوال الحقبة الإسلامية، وحتى وقت قريب، والتي ارتكزت، بشكل دقيق وحصري، على ضفّتَي هذا النهر وشطآن روافده وخلجانه. وهو – بالمناسبة – ما ورد صداه في أوراق الجنيزا أيضاً، حين نظر الإنسان المصري في تلك السياقات إلى المجالات الجغرافية النيلية بوصفها قطاعاتٍ منفصلة متّصلة؛ فقد وردت مسمّيات النيل في هذه الوثائق منسوبة، في كثير من الأحيان، إلى الكُوَرِ والنواحي الإدارية القائمة على ضفّتيه[٥].

انظر: هيام طه صالح حسب الله: "**النيل وآثاره السياسية على مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨–٩٦٩هـ/٥٦٧–١١٧١م)**"، مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، المجلد ١٥، العدد ١ (نيسان/أبريل ٢٠٢٤)، ص ٢٧٣–٣٠٣.

(1) John P. Cooper: ***Medieval Nile: Route, Navigation, and Landscape in Islamic Egypt***, (Cairo – New York, The American University in Cairo Press, 2014), p. 155..

وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة بجامعة لستر(انجلترا)، منحت فى العام ٢٠١٢م.

(2) Ibid. P 155.

(3) Ahmed M. Sheir and Benjamin Outhwaite: "***Fire and the Cross: A Historical Reading of the Anti-Christian Polemic in Two Jewish Arabic Poems from the Cairo Genizah***," Entangled Religions, vol. 15, no. 3 (2024), p1-2.

(٤) سارة أحمد حسن: ***الأسرار المخفية في وثائق جنيزا القاهرة: قراءة لأحوال مصر الحياتية في العصرين الفاطمي والأيوبي (القرن ١٠–١٣م/٤–٧هـ)***، (الإسكندرية: دار مكتبة النجاح، ٢٠٢١م)، ص. ٣٥.

(5) ***CUL T-S, T-S NS 329.999***

وهنا تأتي أوراق الجنيزا، التي حفظت لنا مراسلات تتعلّق بهذا النهر، لتوضح لنا كيف تشابك وتصاهر العائشون حوله مع أطواره المختلفة في تلك الأزمان، ولعلّ أهم هذه الأطوار قاطبةً كان طور الفيضان، الذي مثّل – ولا يزال – أحد أهم دلائل الازدهار الاقتصادي، وبُشرى مبكّرة للأهالي العائشين حول هذا النهر بموسمٍ زراعيٍّ مزدهر عالي الريع، ثم كيف نسج الأهالي حرفهم وأعمالهم بخيوطٍ مرتبطة بما يحمله هذا النهر من مسبّبات الحياة؟!، فضلًا عن الحضارة.؟![1]

في مستهل هذا البحث، يجدر التنويه إلى أن قصاصات الجنيزا التي تناولت نهر النيل، واحتوت على نصوص تتعلق بجوانب تاريخية وحياتية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بهذا النهر العريق، تُعد كثيرة للغاية؛ إذ يتجاوز عدد المفهرس منها والمنشور، والذي تم الاطلاع على مضمونه، عدة مئات من الوثائق، فضلًا عمّا لم يُفهرس، أو لم يُقرأ محتواه بعد[2]. ورغم هذا الكم الكبير، فإن الدراسات البحثية التي تناولت نهر النيل خلال العصرين الفاطمي والأيوبي لم تتطرق أساسًا إلى ما ورد في هذه الوثائق، على الرغم من أهميته اللافتة[3]، رغم أن المادة الواردة عن النيل في قصاصات الجنيزا انعكاسًا صادقًا للمخيّلة الشعبية للمصريين تجاه هذا النهر من قِبل أولئك الذين جاوروه وتعلّقت به حيواتهم في تلك الفترات، وهي رؤى قلّما أُعيرت الانتباه، هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن الطبقات الدنيا في المجتمع المصري فى العصر الإسلامي، كانت الأكثر تأثرًا بالنهر[4]، ليس فقط على صعيد أنماط الكسب والمعاش المرتبطة بالحِرف والمِهن، بل أيضًا فيما يتعلّق بحجم الثروات الفردية ومستويات الضرائب والمكوس المفروضة، وهو ما أسهم، بشكل أو بآخر، في إعادة تشكيل هرم البنية الاجتماعية خلال تلك العصور.

فضلًا عن ذلك، فإن الكم الهائل من قصاصات الجنيزا التي ورد فيها ذكر نهر النيل يُعبّر في حقيقته عن المكانة القدسية التي شغلها هذا النهر في المخيّلة الشعبية المصرية على اختلاف أطيافها ودياناتها خلال السياق الإسلامي ، وقد يُخيّل للبعض أن تلك المكانة كانت مقتصرة على المؤسسات الرسمية أو الفئات الدينية أو عِرقية محددة آنذاك[5]، غير أن هذا التصوّر يُعدّ محدودًا

---

(1)***JRL Series L 165.***
(2) ***CUL T-S, NS 329.999***
(٣) حسنين محمد ربيع وآخرون: ***دليل وثائق الجنيزا الجديدة***، (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص٨ وما بعدها.
(4) ***CUL T-S,* NS 329.999**
(5) Geoffrey Khan, "**A Petition to the Fāṭimid Caliph al-ʿĀmir,**" The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland, no. 1 (1990), p.44.

وقاصراً، تدحضه طبيعة النصوص الواردة فى هذه القصاصات ذاتها، والتي تتيح – عند تحليلها بدقة – استخلاص مقاربات نوعية تكشف عن مركزية النهر في الوجدان الشعبي المصري[١].

وهي المركزية ذاتها التي انعكست جلية في المراقبة الفردية الدقيقة لمنسوب مياهه من جهة[٢]، وفي تخصيص كلمات المديح والتقديس له في المراسلات والأشعار من جهة أخرى[٣]، بل وتَمثّل ذلك في بثّ الطمأنينة إلى الغائبين عن مصر عبر الرسائل بشأن وفاء النهر واكتمال فيضانه[٤]، بما يشير إلى عمق الحضور المادي لهذا النهر في الحياة اليومية للمجتمع المصري فى السياق الإسلامي، بل ويظهر أثر النيل كذلك فيمن ترك هذا المجتمع وتغرب خارجه، إذ كانت الرسائل _وكما تظهر قصاصات الجنيزا_ تأتيه بشكل دوري من أقربائه في مصر، تطمئنه عن النيل وفيضانه، ليثبت ذلك جذور المقولة القائلة بـــــ:"**أن من شرب من ماء هذا النهر، وارتبط به حيناً من الدهر، دام تعلقه به، وبذكره، حتى لو تغرب**[٥]، ففي خطاب بين تاجر من مصر وشريك له فى القيروان بأرض المغرب، مؤرخ بعام 437هـــ/١٠٤٥م، يقول له فيه ضمن مسودة خطاب قاربت الستين سطر: ***« والناس جميعًا أعينهم إلى النيل، يسألوا الله أن يأتي به برحمته»***.

من المهم التأكيد على نقطة محورية، وهي أن تناول نهر النيل في ضوء قصاصات الجنيزا لا ينبغي أن يُفهم على أنه يعكس رؤية دينية ضيقة محصورة في الجماعة التي خزّنت تلك الوثائق، وذلك بحكم طبيعة النصوص ذات الطابع الديني المرتبطة بممارسة دفن الوثائق التي تتضمن ألفاظًا مقدسة لديهم، فحصر المسألة في هذا الإطار وحده يمثل تضييقًا مخلًا بالموضوع، إذ إن هذه الأوراق والقصاصات لا تُفهم إلا في سياقها الأوسع، بوصفها تراثًا مصريًا أصيلًا يعكس أنماط الحياة والعادات الاجتماعية السائدة لدى المجتمع المصري في العصر الإسلامي.

صحيح أن بين هذه النصوص ما يحمل طابعًا دينيًا لأقلية يهودية عاشت في مصر آنذاك، غير أنه لا يجوز افتراض أن هذه الأقلية قد طوّرت عادات وتقاليد حياتية خاصة بها منعزلة عن محيطها الاجتماعي الأوسع، بل إن ما كتبته_ولا تأويل في ذلك_ يعكس بدرجة كبيرة العوائد المشتركة، التي انتشرت آنذاك في داخل المجتمع المصري، الذي انخرطوا فيه وتأثروا به، بحكم

(1) ***CUL T-S, Ar.39.23***
(2) ***CUL T-S, AS 144.187.***
(3) ***JRL, Series L 165.***
(4) ***CUL ,T-S,8J25.8. T-S 16.304 .***
(5) ***CUL ,T-S,13J14.2.***
Geoffrey A. Khan, "**A Copy of a Decree from the Archives of the Fāṭimid Chancery in Egypt**," Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London 49, no. 3 (1986), p439.

هيمنة الثقافة العامة للأغلبية[١]، وليس في هذا الطرح نزعة شوفينية مفرطة، وإنما هو وضع للأمور في نصابها الصحيح، حيث إن الجنيزا في جوهرها نتاج مصري خالص، كُتبت نصوصها على أيدي أفراد كانوا جزءاً من النسيج الاجتماعي المصري العام.

ويكفي للدلالة على ذلك أن الطوائف اليهودية التي عاشت في بلدان إسلامية أخرى مجاورة لمصر لم تخلّف لنا تراثًا مماثلًا للجنيزا. وهذا الواقع يعكس المكانة المتميزة التي تمتعت بها الجماعة اليهودية في مصر الإسلامية، وما حظيت به من حرية دينية واجتماعية مكّنتها من التعبير عن ممارساتها وعاداتها اليومية في رسائلها ووثائقها، وهي في حقيقتها انعكاس لعادات المجتمع المصري بأسره.

ويتأكد هذا الطرح من خلال اللغة التي كُتبت بها الوثائق، إذ إن جزءاً غير قليل منها صيغ بالعربية، وكثيرها بالعربية–اليهودية (**الجاديو–Judaeo–Arabic**)، أي العربية بحروف عبرية، في حين لم يُكتب إلا القليل النادر بلغات أخرى كالسريانية والآرامية، وكثير منها كتبه مسلمون، وأحتوى على آيات قرانية، والبعض تناول معاملات مسيحية أو مع مسيحيين، وهذا كله يشهد على عمق الاندماج والتأثر بالثقافة المصرية ذات الطابع العربي الإسلامية خلال تلك الحقبة.

وبناءً عليه، لا يمكن النظر إلى هذه النصوص باعتبارها مجرد تاريخ ديني أو تراث خاص بالجماعة اليهودية ، كما تحاول أذرع التجمعات الأكاديمية الصهيونية وتشكيلاتها الدينية الأن تصديره للعالم[٢]، كجزء من الغزو الثقافي للأجيال الجديدة للحروب، بل يجب فهمها باعتبارها مصدراً تاريخيًا وتراثًا مصريًا خالصًا، يعكس ملامح المجتمع المصري في الحقبة التي كُتبت فيها، لا ملامح أقلية منعزلة عاشت في داخله، وتوضح كذلك؛ لأي مدى كان المجتمع المصري عبر عصوره متقبلاً لأقلياته، التي انصهرت فيه.

هذا، وقد حاول الباحث في هذه البحث توظيف الإطار النظري المعروف بـــ«**التاريخ من أسفل**» [٣] (***People's History***) أو (***History from Below***) [٤]، وهو المفهوم الذي يُعَدّ

---

(١) ***CUL T-S, NS 288.179***

(٢) سعيد عبد السلام العكش، وجهلان إسماعيل محمد: **الجنيزا القاهرية والمعركة بين مصر وإسرائيل**، مراجعة: إبراهيم البحراوي، (القاهرة: دار العالم العربي، ٢٠١٦)، ص. ٢.

(٣) خالد طحطح: **البيوغرافيا والتاريخ**، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠١٤م)، ص٥٠-٥١.

(٤) خالد محســـن؛ جابر يعقوبي: وخاليد فؤاد طحطح، **التاريخ من أســـفل: فيتاريخ الهامش والمهمش**، (القاهرة: منشورات دار رؤية، ٢٠١٩)، ص١٢.

=McCalman, Iain, Colin A. Hughes, and Patricia Grimshaw, eds. **History from Below: Studies in Popular Protest and Popular Ideology in Honour of George Rudé. Montreal**: Concordia University, 1985, p. 7. ؛ Johannes Fabian, Kalundi Mango, and Walter Schicho (eds.), **History**

المؤرخ الفرنسي (**لوسيان فيبر *Lucien Febvre***) [١]، أول من أسّس له؛ ويُعدّ هذا الإطار النظري من بين الأطر ذات القيمة الكبيرة في السياقات البحثية الحديثة، نظراً لما يتيحه من إمكانية استكشاف جوانب التاريخ بعيداً عن المدونات الأدبية الرسمية، التي غالباً ما تتأثر بعوامل الانتماء والانحياز، وتعبّر، في مجملها، عن رؤى المؤسسات السياسية الرسمية.

هنا تماماً، تكتسب الوثائق المنتجة من خلال أنماط حيوات عامة ومهمشي المجتمع _أي مجتمع_، في أي فترة زمنية، قيمة علمية خاصة، إذ تُمثل شهادات حية على الوقائع المعاشة[٢]، من خلال كتابات صدرت عن هؤلاء المهمشين أنفسهم، فلم يكتب عنهم أحد، بما يوافق هواه ورؤيته، ولا يعبر عنهم، إنما قدمت هذه الأوراق والقصاصات صورة واقعية، قادرة على الكشف عن تمثلات الناس ومخيّلتهم إزاء أحداث زمانهم، وكذلك تصوراتهم لأنفسهم وللآخر[٣].

وقد اعتمد الباحث، في تطبيق هذا الإطار النظري، على المنهج السردي التحليلي، الذي يقوم على تحليل محتوى قصاصات وأوراق الجنيزا التي وصلتنا، والمتعلقة بنهر النيل في المخيلة الشعبية[٤]، سواء كانت خطابات شخصية، أو أشعاراً، أو وثائق شرعية وعقود، أو حتى شكاوى فردية مرفوعة إلى السلطة[٥].

ويبقى من الضروري بمكان تبرير الإطار الزمني الذي اُختير للدراسة، حيث اقتصر الباحث على العصرين الفاطمي والأيوبي (٣٥٨–٦٤٨هـ / ٩٦٩–١٢٥٠م)، وذلك لأن معظم الوثائق وقصاصات الجنيزا التي تعرضت للنيل تعود إلى هاتين الحقبتين تحديداً؛ صحيح أن ثمة قصاصات محدودة _مما قُرأ وفُهرس على الأقل_ تناولت النيل يمكن نسبتها إلى العصر المملوكي، وربما هناك مالم يفهرس بعد يعود إلى تلك الحقبة، غير أن الكثرة الغالبة من المادة الجنيزية الخاصة بموضوع النيل تتركز في الفترتين الفاطمية والأيوبية، على أن الباحث ومن منطلق

=**from Below: The Vocabulary of Elisabethville by André Yav: Texts**, Translation, and Interpretive Essay, (Amsterdam: J. Benjamins Publishing Company, 1990), p.23.

(١) دومينيك جوليا: "**التاريخ والدين**"، **ضمن: الاشتغال بالتاريخ: مشكلات جديدة، مقاربات جديدة، موضوعات جديدة**، تحرير وإشراف: جاك لوغوف وبيير نورا ، ترجمة: جمال شحيّد، (الدوحة/بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠٢٤)، ص ٤٣٦–٤٣٧.؛ جان شرف (إشراف): **تاريخ لبنان الريفي**: أعمال المؤتمر الأول (٦–٧ كانون الأول ١٩٩٥)، (بيروت: الجمعية التاريخية اللبنانية، منشورات فيلون، ١٩٩٥م)، ص١٥.

(٢) سعيد عبد السلام العكش، وجهلان إسماعيل محمد: **وثائق الجنيزا اليهودية في مصر**، (القاهرة: وزارة الثقافة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٧)، ص ١٠.

(3)M. Gil, Documents of the Jewish Pious Foundations from the Cairo Geniza, (Leiden: Brill, 1976), P13.

(4) CUL ,T-S,***Ar.39.23***

(5) ***JRL, Series L 165.***

مراعاة طبيعة الدراسة كونها بحثًا مدخليًا، وليس دراسة موسعة، فيرجح أن العوائد والقضايا التاريخية المستخلصة من أوراق الجنيزا المتعلقة بالفترتين الفاطمية والأيوبية يمكن أن يُعمم أثرها على العصر المملوكي، بل وحتى على العصر العثماني وإن كان بدرجة أقل، ويرجع ذلك إلى أن العوائد والسمات الاجتماعية عادةً ما تكون صعبة التغير وتستمر عبر عصور متعاقبة[١]، على عكس أنظمة الحكم والسياسات التي تتغير بتغير الحكام والظروف التاريخية.

كما تجدر الإشارة إلى أن كثيراً من هذه قصاصات التي استخدمت فى البحث قد تتضمن، أو لا تتضمن تاريخاً صريحاً، يمكن الاستناد إليه عند تأريخها، بيد أن المفهرس لهذه القصاصات فى مجموعاتها المكتبية عمد إلى تقدير تاريخها اعتماداً على مؤشرات منهجية متعددة، تعتمد على محتويات النص بداخلها، مثل ذكر شخصيات بارزة أو أحداث مهمة، أو حتى بالإشارة إلى شخصيات هامشية غير معروفة، ولكنها ذُكرت في قصاصات أخرى كانت مؤرخة. وبذلك يمكن، بالاستناد إلى هذه المعطيات، ترجيح تاريخ أو تحديد الفترة الزمنية التي تنتمي إليها كل قصاصة.

وانطلاقًا مما سبق، فإن هذه الورقة البحثية – في جوهرها – تُعدّ محاولة لتقديم محاجة علمية ترتكز على دعيمة منهجية واحدة، وهي الاعتماد على تحليل ما ورد فى أوراق وقصاصات الجنيزا فقط من إشارات عن النيل لتقديم قراءة مكملة لما ورد فى المصادر الاعتيادية المدونة عن علاقة النيل وفيضانه وأحواله بالناس فى هذه العصور، ولعل ذلك ما قد يقدم مبرراً مقبولًا لقلة الاعتماد على المصادر فى هذا البحث.

هذا، وقد قام الباحث فى ضوء ذلك، بتقسيم دراسته إلى خمسة مباحث رئيسة، أوله يتناول مدخل تعريفي بالجنيزا، والأربعة مباحث الباقية تم تحديدها وفقًا لمحتويات الأوراق والقصاصات الجنيزية التي تناولت فى مضامينها إشارات عن النيل ، وتتمثل هذه المباحث فيما يلي"

- **المبحث الأول:** الجنيزا بين الأصل اللغوي والقيمة التاريخية والجدل حول طبيعتها
- **المبحث الثاني:** نهر النيل ومسمياته كما وردت في قصاصات الجنيزا "الدلالة والسياقات".
- **المبحث الثالث:** الفيضان وقياسه بوصفه حدثًا في الوعي الشعبي.
- **المبحث الرابع:** الارتباط بالنيل من خلال الكُنى والمسميات والتميز الجغرافي.
- **المبحث الخامس:** النيل كوسيلة للتنقل.

****

(١) سمية حسن محمد إبراهيم: العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي، (القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٩)، ص٢٥.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤

المبحث الأول: الجنيزا: بين الأصل اللغوي والقيمة التاريخية والجدل حول طبيعتها

١- الأصل اللغوي.

كلمة الجنيزا (***גניזה-Genizah***) أصلها عبري، وتعني "للدفن" أو "الإخفاء"[١]، وتُلفظ بالجيم المصرية غير المعطّشة[٢]، أي على خلاف الجيم الفصيحة في العربية. ويُلاحظ أن اللفظة قريبة من كلمة "جنازة" العربية المشتقة من الجذر "جنز" بمعنى الدفن[٣]، كما تقترب في النطق والتهجئة من كلمة "كنز" التي تدل على إخفاء النفيس ودفنه[٤]، وهذا التشابه طبيعي، إذ إنه من المعروف أن اللغتين العربية والعبرية تنتميان في أصولهما إلى أاللغات السامية المشتقة من جذور واحدة[٥]، غير أن العربية تمتاز بسعة المعاني ودقة القواعد والضبط.

٢- الأساس الديني.

ارتبطت الجنيزا بعادة يهودية ذات أصل ديني، حيث يعتقد اليهود أن سفر التثنية تضمّن أمراً إلهياً بضرورة الاحتفاظ بكل ورقة يُذكر فيها اسم الله[٦]، ومن ثم كانوا يعمدون إلى دفن الأوراق التي تشتمل على هذا الاسم، كنوع من العبادة[٧].

---

(١) سعيد عبد السلام العكش، وجهلان إسماعيل محمد: **وثائق الجنيزا اليهودية في مصر**، (القاهرة: وزارة الثقافة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٧م)، ص ١٠.؛ أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: "**التعريف بوثائق الجنيزة**"، بحث منوشر بمجلة التاريخ والمستقبل، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، مج ٣٤، ع ٦٧ (يناير ٢٠٢٠م)، ص ٩٠.

(٢) مارك ر. كوهن: "**الجنيزا الإسلامية والجنيزا القاهرية الجديدة**"، ترجمة عصام عيدو، مجلة التفاهم، سلطنة عُمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ع ٦٢ (٢٠١٨م/١٤٤٠هـ)، ص ٣٧٧-٣٧٨.

(٣) ابن منظور (ت: ٧١١هـ/١٣١١م): **لسان العرب**، تحقيق اليازجي آخرون، (بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ج.٥، ص. ٣٢٤-٣٢٥. ؛ محمد خليفة حسن، والنبوي جبر سراج: **الجنيزا والمعابد اليهودية في مصر**، (القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ص ١١. عطية القوصي: "**أضواء جديدة على تجارة الكارم – من واقع وثائق الجنيزا**"، المجلة التاريخية المصرية، ع ٢٢ (القاهرة: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٣٣.؛ نحمان دنستيج: نزح الجنيزا: مقدمة كتاب سجل وثائق الكتلبات للدينية اليهودية، ترجمة فرج قدري الفخراني، (القاهرة: بيان للترجمة والنشر والتوزيع، ٢٠٢١م)، ص ١٨.

(4) Paul E. Kahle, ***The Cairo Geniza*** (London: Published for the British Academy by Oxford University Press, 1947), 11. A. I. Katsh, Antonin A., and M. E. Saltykov-Shchedrin State Public Library, ***The Antonin Genizah in the Saltykov-Schedrin*** Public Library in Leningrad (New York: Institute of Hebrew Studies, New York University, 1963), p.31.

(٥) حسان حلاق: **مقدمة في تاريخ العرب: التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني والعلمي**، (بيروت: دار بيروت المحروسة، ١٩٩١م)، ص ١١.؛ حسام قدوري عبد: **تأصيل الجذور السامية وأثره في بناء معجم عربي حديث**، (بغداد: دار الكتب والوثائق العراقية، ٢٠٠٧م)، ص ١٣.

(٦) ***[1]هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها، كل الأيام التي تحيون على الأرض [٢] تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة، وعلى التلال، وتحت كل شجرة خضراء [٣] وتهدمون مذابحهم، وتكسرون أنصابهم، وتحرقون سواريهم بالنار، وتقطعون تماثيل آلهتهم ، وتمحون اسمهم من ذلك المكان [٤] لا تفعلوا هكذا للرب إلهكم) العهد القديم. سفر التثنية. الفصل. الإصحاح الثاني عشر. العدد[١ – ٤].*** هذا ويعتبر سفر التثنية عند اليهود بمثابة افتتاح قراءة الكتاب المقدس؛ و هو في مكانة عليا لديهم؛ يشبهه البعض بفاتحة آيات القرآن الكريم عند المسلمين. للمزيد انظر؛ القس وليم مارش: السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التثنية، (٢٠١٢م)، ص ١.

(٧) العكش ومحمد: وثائق الجنيزا اليهودية في مصر، ص ٧-١٠.

غير أن هذه العادة في حقيقتها لم تكن وقفًا على اليهود وحدهم؛ فقد عرفها المسلمون أيضًا حين اعتادوا دفن الأوراق التي تحوي أسماء الله أو الآيات القرآنية[١]، كما مارستها بعض الديانات الأخرى. بل إن المصريين القدماء كانوا يدفنون بعض البرديات التي تتضمن ألفاظًا مقدسة[٢].

٣- القيمة التاريخية .

تكمن أهمية أوراق الجنيزا في أنها لم تقتصر على النصوص الدينية[٣]، كما يدعي البعض، بل أنها فى قيقتها اشتملت على قدر واسع من الوثائق التي عكست الحياة اليومية لفئات المجتمع، وخصوصًا المهمشين منهم. فهي تضم عقود زواج، وصكوك إيجارات، وإيصالات مالية، وشكاوى للسلطات، ومعاملات شرعية، وبذلك، فهي تمثل مرآة دقيقة للمجتمع المصري في العصر الإسلامي[٤]، ولا تقتصر على تسجيل حياة الأقلية اليهودية وحدها.

٤- معرفة القيمة لا اكتشاف.

يُشاع – خطأً – أن اكتشاف الجنيزا تم على يد الأكاديمي اليهودي البريطاني سليمان شختر في أواخر القرن التاسع عشر[٥]، حين كان يعمل في مكتبة كمبردج. ففي أثناء مهمة علمية زار معبد "أليهو عزرا" في الفسطاط القديمة، ودخل الغرفة المخصصة لحفظ هذه الأوراق، والحقيقة أن الجنيزا لم تكن مجهولة، إذ كان من المعتاد أن يُلحق بكل معبد يهودي غرفة لحفظ هذه القصاصات[٦]، ما قام به شختر أنه أبرز قيمتها العلمية وأشار إلى إمكانية الاستفادة منها في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

٥- الجدل حول تمثيلها للمجتمع:

أمر آخر على جانب من الأهمية، وهو معارضة الرأي القائل بأن ما ورد في وثائق الجنيزا يمثل حصرياً مجتمع الأقلية اليهودية في مصر في العصر الوسيط، بل ويمتد – كما

---

(١) العكش ومحمد: وثائق الجنيزا اليهودية في مصر، ص ٧-١٠.

(٢) نفسه، ص ٧-١٠.

(3) Mordechai A. Friedman, ***"Responsa of Abraham Maimonides on a Debtor's Travails***," in Genizah Research After Ninety Years: The Case of Judaeo-Arabic, ed. Joshua Blau and Stefan C. Reif (Cambridge: Cambridge University Press, 1992).p. ٨٢.

(٤) كلود كاهن: **الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية**، ترجمة حسين جواد قبيسي، تحقيق علي نجيب إبراهيم، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م)، ص ٢٦٩.

(5) Mark Glickman, ***Sacred Treasure—The Cairo Genizah: The Amazing Discoveries of Forgotten Jewish History in an Egyptian Synagogue Attic*** (Woodstock, VT: Jewish Lights Publishing, 2010), p.31.

(6) ***ibid.***

يذهب بعضهم – إلى العصر الحديث، إن مثل هذا القول لا يمكن قبوله؛ إذ إن هذه الأقلية، في ضوء ما تمتعت به من حرية واندماج وقبول للآخر في المجتمع المصري، مارست العادات والتقاليد نفسها التي كانت سائدة في ذلك المجتمع الواسع(١)، ومن ثم، جاءت وثائقها لتعكس هذا التشابك الاجتماعي والثقافي، لا انعزالًا طائفيًّا(٢).

يضاف إلى ذلك أن بعض الوثائق في الجنيزا لم تقتصر على كتابات يهودية، بل تضمنت نصوصًا حررها مسلمون. ويظهر هذا فيما يُعرف بـــ إعادة إيلاد الوثيقة، حيث كانت بعض الأوراق تُعاد كتابتها أو يُستفاد من وجهيها معًا: فمثلًا قد نجد في أحد الوجوه أدعية يهودية، بينما يحتوي الوجه الآخر على عقود بيع أو شراء أو معاملات مالية. ويعكس ذلك النظرة العملية إلى الورق باعتباره مادة نادرة وثمينة، تُستخدم في أكثر من سياق، بغض النظر عن هوية الكاتب أو الطائفة الدينية(٣).

٦- المصطلح وأبعاده

ويبقى من الجدير بالذكر أن تسمية محتويات الجنيزة بـــ "قصاصات" أو "أوراق" أدق من تسميتها "وثائق". والسبب في ذلك يعود إلى جملة من الاعتبارات:

أ- **البعد الاصطلاحي والسياسي:** كلمة "وثيقة" تستخدمها الحركة الصهيونية العالمية وبعض الدوائر الأكاديمية التابعة لها، للي الحقائق كعادتهم وذلك لاستخدام هذا التراث المصري، للدلالة على أن هذه الأوراق تمثل "أرشيفًا قوميًّا" لليهود، وهو ادعاء لا يستند إلى حقيقة واقعية(٤)، فهذه القصاصات لم تكن محفوظة ضمن نظام رسمي أو بتوجيه سلطوي، بل جُمعت فقط لإبعادها عن التداول بعد أن بَلِيَت أو لم تعد صالحة للاستعمال، لا أكثر.

ب-**غياب الشمولية:** هذه الأوراق لا تمثل المجتمع اليهودي كله، وإنما جزءًا صغيرًا منه، وفي أغلب الأحيان شريحة ضيقة من أفراده. وبالتالي، لا يمكن التعامل معها بوصفها سجلات جامعة أو أرشيفًا قوميًّا بالمعنى العلمي، فى الأساس لم يصح تاريخيًا القول

---

(١) بلغ تماهي هذه الفئة في العوائد وتقاليد المجتمع المصري آنذاك حد بعيد؛ حتى أن بعض فرقها كانت تشارك المسلمين المصريين الاحتفال بالمولد النبوي، في مراسلاتها وعاداتها، وقد جاءت بعض القصاصات تحوي بداخلها رسومات تشير إلى المولد النبوي، ومن ثم عوائدهم تمثل في الحقيقة عوائد مجتمعهم للذين عاشوا فيه وتمتعوا بقدر كبير من التقبل من المسلمين بداخله. للمزيد انظر القصاصة التالية

CUL T-S, NS 288.179

(2) Geoffrey Khan, Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections (Genizah Series; Cambridge: Cambridge University, 1993), p1–3.

(3)***CUL T-S, NS 288.179.***

(4) Lawrence A. Hoffman, ed., My People's Prayer Book: The Amidah (Woodstock, VT: Jewish Lights Publishing, 1997), p.37.

الزاعم بوجود مجتمع يهودي مستقل وهوية منفصلة لليهود عبر العصور الإسلامية، بل وحتى في العصور الأقدم[١]؛ إذ كانوا يعيشون دائمًا كجماعات دينية منعزلة داخل المجتمعات الكبرى التي انضمّوا إليها. وقد تقبّلتهم بعض تلك المجتمعات، مثل المجتمعات الإسلامية، في حين رفضتهم مجتمعات أخرى وفرضت عليهم نمط "الغيتو"، إمّا لطبيعة الأعمال التي كانوا يزاولونها، وإمّا أحيانًا بسبب نظرتهم الاستعلائية تجاه أتباع الديانات الأخرى.

ج-**طبيعتها المادية:** أغلب ما وصل إلينا ليس أوراقًا مكتملة، بل قصاصات صغيرة ممزقة[٢]، أو مبتورة من أوراق أكبر[٣]، نستشف منها أحيانًا ما كانت تحتويه في صورتها الأصلية. وهذا يجعل وصفها بالقصاصات والبعض منها بأوراق أقرب إلى حقيقتها المادية، وأكثر دقة من إطلاق وصف "وثائق" عليها.

المبحث الثاني : نهر النيل ومسمياته كما وردت في قصاصات الجنيزا "الدلالة والسياقات".

يُعدّ من الأهمية بمكان أن تُستهلّ دراسة نهر النيل في ضوء أوراق الجنيزا بتناول طبيعة المسميات التي أُطلقت عليه ضمن هذه القصاصات، لما تحمله من دلالات ثقافية وتاريخية تكشف عن أبعاد متعدّدة في المخيلة الجمعية للذين تعاملوا مع هذا النهر الخالد في تلك العصور.

فإلى جانب الاسم الأشهر، وهو "نهر النيل"، تحفظ لنا وثائق الجنيزا طائفة من الأسماء الأخرى التي أُطلقت على النهر. ويجدر التنويه إلى أنّ هذه التسميات لم تكن نتاج سلطة أو طبقة اجتماعية بعينها، بل كانت مسميات شعبية متداولة بين شرائح واسعة من عامة الناس آنذاك. ومن أبرز هذه الأسماء التي تتكرر بكثرة في وثائق الجنيزا مسمى "**נהר נילוס نهر نيلوس**"، وهو الاسم اليوناني القديم المعروف لهذا النهر، ففي قصاصة جنيزا[٤] مؤرخة بـ (بشهر سيوان ١٣٦٧ سلوقي[٥] _ مايو/يونيو ١٠٥٦ م _ شوال أو ذو القعدة ٤٤٨ هـ)، أي في العصر

(١) كيث وايتلام، ***اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني***، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة فؤاد زكريا (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩م)، ص ١١٤ وما بعدها.

(2) Geoffrey Khan, Published Material from the Cambridge Genizah Collection: Volume 2, A Bibliography 1980–1997 (Cambridge: Cambridge University Library, 2004), p.12.

(3) ***ibid.***

(4) ***JRL, Series B 3857.***

(٥) التقويم السلوقي: والمعروف أيضًا بـ "Anno Graecorum" أو "التقويم اليوناني–اليهودي"، هو نظام تأريخ بدأ من سنة ٣١٢ ق.م وقيل بل سنة ٣١١ق.م، وهي السنة التي بدأت فيها سلطة سلوقس نيكاتور الأول بعد وفاة الإسكندر الأكبر، اعتمد هذا النظام أساسًا في المخطوطات اليهودية القديمة، خصوصًا في بلاد ما بين النهرين والشام خلال العصور الهلنستية والرومانية، ومع سيطرة الحكم السلوقي على فلسطين والمناطق المجاورة، أصبحت الوثائق الإدارية والاقتصادية تعتمد هذا التقويم، ما دفع اليهود إلى تبنيه لتأريخ مخطوطاتهم وأحداثهم، وقد ظل استخدامه فى بعض قصاصات الجنيزا

الفاطمي، فى خلافة المستنصر بالله الفاطمي[١]، والمكتوبة بالآرامية العربية يُلاحظ أن "**تيلوس**" في حقيقته هو إله الأنهار في المعتقدات اليونانية، وهو انعكاس لتأثر الإغريق باللاهوت المصري القديم[٢]؛ إذ إنه من المعروف أن المصريين القدماء قدّسوا نهر النيل وعبدوه تحت اسم "**حابي**"، وهو التصور الذي انتقل أثره إلى الثقافة اليونانية. ومع الأخذ في الاعتبار أنّ اليونانيين احتكّوا باليهود لفترات طويلة،بدءاً من القرن الثالث قبل الميلاد وما تلاه لقرون، فقد تسرّبت إليهم بدورهم بعض الأشكال الوثنية من المعتقدات اليونانية القديمة. ويتضح هذا التأثير بجلاء في استمرار استعمالهم للتسميات الإغريقية القديمة في مراسلاتهم، والدليل على ذلك أنّ عشرات، بل وربما مئات الوثائق الجنيزية، يرد فيها هذا المسمّى على ألسنة اكاتبيها من المهمشين، فيُشار به تارةً إلى الدار الكائنة على **نهر نيلوس**[٣]، وتارةً أخرى إلى مدينة الفسطاط الممتدة على ضفاف **نهر نيلوس**[٤]؛ ومن الراجح أنّ تكرار هذا الاسم في وثائق الجنيزا لا يمكن تفسيره إلا استناداً إلى عاملين رئيسيين:

- ***العامل الأول،*** استمرار التأثيرات الثقافية والدينية المرتبطة بالفترتين اليونانية والرومانية في البيئة اليهودية المصرية[٥]، إذ أن الطوائف اليهودية كانت قد عاشت خلال هاتين الحقبتين في مصر، وارتبط وجودها، إلى حد بعيد، بأنشطة تجارية مزدهرة[٦]، ارتكزت على نهر النيل بوصفه شرياناً حيوياً للنقل والتجارة، وقد تركت هذه الحقبة، بما فيها من

القاهرية. للمزيد انظر؛ محمد الزين: **التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية**، دراسيات تاريخية، العدد ٨٥–٨٦ (٢٠٠٤)، ص ٤٢.؛ علي شحيلات وعبد العزيز الياس الحمداني: مختصر تاريخ العراق (تاريخ العراق القديم)، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١)، ج٦، ص٤٠٨. ؛السيد فرقد الحسيني القزويني: ***فيض العليم في معرفة التقويم***، (الحلة: مؤسسة الحلة للدراسات الإنسانية والعلمية والدينية، ٢٠٢٣)، مج١، ص ٦٥٨.

(١) ***الخليفة المستنصر بالله الفاطمي(٤٢٧_٤٨٧هـ/١٠٣٦_١٠٩٤م):*** هو أبو نزار معد بن الخليفة الظاهر أبو الحسن علي؛ خامس خلفاء الفاطميين في مصر، وثامنهم منذ قيام دولته، تولى الخلافة صغيرا، وقد امتد عهده حتى تولى الخلافة لمدة ستين سنة، فيها ضعفت الدولة، وكادت تسقط، كما أنه في العشرين سنة الأخيرة من عهده سيطر الوزراء على الدولة، ليبدأ العصر الثاني. للمزيد عن المستنصر وعهده انظر؛ أبو المحاسن (ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط١، القاهرة، د.ت، ج.٥، ص١ وما بعدها.

(٢) محمد مبروك أبو زيد: ***مصر الأخرى: التبادل الحضاري بين مصر وإيجبت***، (القاهرة: Mohamed Mabrouk، ٢٠١٩)، ج١، ص ٣٣.

(3) ***CUL ,T-S,8J6.16*** (صك طلاق مؤرخ بـ ٦٤٨هـ/١٢٥٠م) .؛ Eliyahu Ashtor, ***History of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamlūks (in Hebrew)***, vol. 3 (Jerusalem: Mossad Harav Kook, 1970), p.١٣٢.

(4) ***JRL, Series B 3857.***

(٥)مارك كاهين: **المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى ٦٤١–١٣٨٢م**، ترجمة: نسرين مرار وسمير نقاش ، مراجعة: سليمان جبران، تقديم: ساسون سوميخ، (فلسطين المحتلة: حيفا، مكتبة لقاء، ١٩٨٧)، ص٢٥.

(٦)كاهين: المجتمع، ص٦٤–٦٦.

تفاعل لغوي وثقافي، بصماتها على المصطلحات والمفاهيم المستخدمة لدى اليهود في عصور لاحقة، ومنها العصر الإسلامي، وهو ما يُفسّر استمرار استخدام "**نيلوس**" في المخاطبات اليهودية آنذاك، رغم دخول السياق الحضاري العربي الإسلامي[١]، يزيد من قوة هذا الطرح عدد الوثائق التي ذكرت"نهر النيل" بمسمى "**نهر نيلوس**"، والتي يُقدّر عددها بالعشرات، حيث يلاحظ أن مسمى "**نيلوس**" عند استخدمه لطالما اقترن بذكر المدن المصرية آنذاك بمسمياتها اليونانية أو التوراتية.

وتتأكد هذه الظاهرة على نحو خاص من خلال النصوص العديدة الواردة في أوراق وقصاصات الجنيزا[٢]، إذ يَرِد في إحدى الحجج الشرعية المتصلة بالميراث وتوزيع التركة، والمؤرخة بشهر تشرين الأول من العام ١٤٤٨س، وهو ما يقابل شهر شعبان من سنة ٥٣٠هـ/أكتوبر ١١٣٦م، نصٌّ مكتوب بالآرامية، وقد دُوِّن بمدينة دمياط[٣]، وقد تضمّنت هذه الحجة الشرعية صيغة لافتة جاء فيها: ***(באי כפתור ועל כיף ימא רבא ונהרא דנילוס מותבה רשותיה דאדוננו מצליח הכהן)*** ويُمكن ترجمتها على النحو التالي: «***... في جزيرة كفتور، وعلى شاطئ البحر الكبير،و نهر نيلوس،في سلطة سيدنا مُصْلِح الكاهن***»[٤].

وتدل هذه الصيغة على حضور واضح لتسميات توراتية ويونانية داخل المتن العربي–العبري عند الإشارة إلى نهر النيل والمدن القائمة على ضفتيه، بما يعكس تداخل المرجعيات الثقافية والدينية في توصيف المكان.

- ***أما العامل الثاني***، فيتجلى في التأكيد على أنّ اليهود لم يفقدوا مكانتهم الاقتصادية أو الاجتماعية خلال العصر الإسلامي، ولم تمس فى أغلب عقوده، ولا سيما في العصرين الفاطمي والأيوبي(٣٥٨–٦٤٨هـ / ٩٦٩–١٢٥٠م) ، وقد شمل ذلك مستوى الأفراد لا رجال الدولة فحسب ؛ فقد استمروا في أداء أدوار تجارية محورية شملت مختلف البلدان،

(1) ***CUL ,T-S,13J2.19 ؛ T-S 16.50***
(2) ***CUL ,T-S,8.180.***
Gershon Weiss: **Documents Written by Hillel ben Eli: A Study in the Diplomatics of the Cairo Geniza Documents**, (MA Thesis) (n.p., 1967).p31. ؛ Mordechai Akiva Friedman and Amir Ashur: **A Newly-Discovered Autograph Responsum of Maimonides, Lower Script of a Pseudo-Palimpsest =Colophon: T-S AS 221.306–307**, Fragment of the Month (Cambridge University: Genizah Research Unit, 2012). p.
(3) ***CUL ,T-S,13J2.19.***
Gershon Weiss: **Documents Written by Hillel ben Eli: A Study in the Diplomatics of the Cairo Geniza Documents**, (MA Thesis) (n.p., 1967).p31. ؛ Mordechai Akiva Friedman and Amir Ashur: **"A Newly-Discovered Autograph Responsum of Maimonides, Lower Script of a Pseudo-Palimpsest Colophon: T-S AS 221.306–307**," Fragment of the Month (Cambridge University: Genizah Research Unit, 2012).
(4) ***JRL, Series B 3857.***

بما في ذلك الهند وبلاد شرق آسيا وبلاد اليونان (الإمبراطورية البيزنطية آنذاك). ويُعدّ من أبرز الشواهد على ذلك استخدامهم لمصطلحات ذات خصوصية دينية وجهوية في المراسلات والمعاملات التجارية، ومن بينها اسم "نيلوس"(١).

ويجدر التنويه إلى أنه لا تتوفر بين أيدينا أدلة قاطعة على مدى انتشار هذا المسمى في الأوساط الشعبية العامة آنذاك، وبخاصة بين غير اليهود. غير أنّ تكرار ورود هذا المسمى في عشرات، وربما مئات، من أوراق وقصاصات الجنيزا(٢) يشير، بلا شك، إلى شيوعه بدرجة كبيرة بين الأفراد في هذه المجتمعات(٣)، ولم يقتصر ذلك على الأوساط اليهودية وحدها. وهذا أمر بديهي، إذ إن اليهود في هذه المراسلات ربما تعاملوا مع غير اليهود من المسلمين والمسيحيين، مما يسمح بالقول إن هذا المسمى كان على الأرجح حاضراً بوضوح، ويُستعمل في المراسلات والمعاملات اليومية(٤).

وإلى جانب ما سبق، فإن هذه الظاهرة تكشف أيضًا عن قدر كبير من حرية التعبير والممارسة الثقافية التي تمتعت بها الطائفة اليهودية في مصر في العصر الإسلامي ، وفق معايير ذلك الزمن، وهو ما أتاح لها الاحتفاظ بمصطلحاتها الخاصة، سواء ذات الطابع الديني أو التجاري أو اللغوي، واستخدامها دون قيد في وثائقها ومراسلاتها (٥).

وإلى جانب مسمى "**نيلوس**"، يلفت الانتباه أيضًا ورود مسمًى آخر في بعض وثائق الجنيزا، للإشارة إلى نهر النيل، وهو مسمى (***فيشون – נהר פישון – Pishon***) (٦)؛ ففي وثيقة شرعية(وثيقة طلاق) مؤرخة بين سنوات(439–431هـ/١٠٤٠–١٠٤٧م)، يرد أول ذكر لهذا المسمى بجانب العشرات من القصاصات الأخرى التي تحمل نفس المسمى الخاص بالنيل فى العصرين الفاطمي والأيوبي(٧).

والحقيقة أن هذا الاسم، على خلاف "نيلوس" الذي يعبّر عن أثرٍ ثقافي يوناني، يعكس بعداً دينياً واضحاً متجذراً في العقيدة اليهودية ونصوصها التوراتية؛ فـ"فيشون" هو أحد الأنهار

(1) ***JRL, Series B 3857.***
(2) ***CUL ,T-S,8.180.*** ؛ ***CUL ,T-S,8J32.5*** ؛ Gershon Weiss: **A Study in the Diplomatics of the Cairo Geniza Documents**.p31. ؛ Mordechai Akiva Friedman and Amir Ashur: **"A Newly-Discovered Autograph Responsum of Maimonides: T-S AS 221.306–307**," Fragment of the Month,p32.
(3) ***JRL ,Series B 3857.***
(4) ***JRL ,Series B 3857.***
(5) ***CUL ,T-S, 8.180,***
(6) ***CUL ,T-S,16.50***
(7)***Firk, Yevr.-Arab. II 1367.*** ؛ ***CUL ,T-S,12.162.*** ؛ ***T-S 10J8.11 .***

الأربعة المذكورة في سفر التكوين، والتي ارتبطت بجنّة عدن في المخيال الديني اليهودي، كما ورد في الإصحاح الثاني من السفر، الآيات ١٠-١٤: "*وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس: اسم الأول فيشون، وهو المحيط بأرض الحويلة... واسم النهر الثاني جيحون... والثالث حداقل، والرابع الفرات* [١]".

ويُرجّح العديد من المفسرين اليهود أن "فيشون" هو الاسم الرمزي أو التوراتي لنهر النيل، خاصة في ظل ارتباطه بأرضٍ غنية بالذهب والموارد[٢]، وهي صفات تطابقت في المخيال القديم مع وادي النيل. ومن هذا المنطلق، فإن استخدام هذا المسمى في مجموعات أوراق وثائق الجنيزا يعكس؛ كيف ظل نهر النيل يحتفظ بمكانة مقدسة في الوجدان اليهودي، ليس فقط كرافد للحياة المادية، بل بوصفه أيضًا امتدادًا لأنهار الجنة، أي كعنصر من عناصر التصوّر الديني الكوني، ودليل واضح لحضور الديني كدلالة تقديس واضحة فى المخيلة اليهودية الوسيطة تجاه هذا النهر[٣].

ومن اللافت أيضًا أنّ هذا التصور لا يقتصر على التراث الديني اليهودي فحسب، بل نجده حاضرًا كذلك في الثقافة الدينة الإسلامية، التي تبنّت فكرة ارتباط نهر النيل بجنّة عدن، كما ورد في بعض النصوص الحديثية والتفاسير[٤]، التي أشارت إلى أن أصل مياه النيل – ومثله الفرات وسيحان وجيحان – من الجنّة، وهو ما عزّز من رمزيته في المخيلة الإسلامية واليهودية على حد سواء، ومنح النهر بعدًا روحيًا مشتركًا عبر الديانات السماوية[٥].

أما على المستوى الجغرافي للتسميات المرتبطة بهذا النهر الخالد ، فقد ظهرت في أوراق الجنيزا تسميات عديدة لنهر النيل، ارتبطت بالمراكز الحضرية الواقعة على ضفافه، فورد تارة باسم "**نيل الفسطاط**"، **وأخرى** "**نيل الجيزة**"، و"**نيل دمياط**"، وغيرها من التسميات التي تُقرِن اسم النهر بالمدينة أو الإقليم للذي يمر به[٦]، وتعكس هذه الظاهرة مقاربة محلية في تسمية النهر،

---

(١) الكتاب المقدس: **العهد القديم، سفر التكوين(إصحاح) ٢:١٠**، ترجمة فاندايك، (بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، [١٨٦٥]،

(٢) الكتاب المقدس: العهد القديم، سفر التكوين(إصحاح) ٢:١٠. ؛ قاسم عبده قاسم: ***نهر النيل في الأساطير العربية، مجلة العربي***، ع ٢١ (٠١ أكتوبر ١٩٨٧)، ص٥٨. ؛ منير: مصر والنيل بين التاريخ والفولكلور، ص٢٨٤.

(3) ***CUL ,T-S,10J8.11.***

(٤) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ / ٨٧٤م): **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م؛ صوّرته لاحقًا دار إحياء التراث العربي، بيروت)، ج.٤، ص٢٨٤٠.

(5)***AIU VII.D.1*** ؛ CUL ,T-S***8.137.***

(6) ***CUL ,T-S,Ar.30.102.*** ؛ ***T-S 20.114 .***

تختلف عن البعد الديني أو الثقافي السابق، وتشير إلى الإدراك العملي والوظيفي للنهر داخل الوعي الشعبي والمراسلات اليومية(١).

ويُلاحظ أن هذه المسميات الجغرافية غالباً ما ترتبط بمدن تقع في إقليم الوجه البحري أو مصر السفلى، البادئة من الجيزة إلى ما هو متجهًا شمالًا(٢)، والراجح أن سبب ذلك يعود إلى الخصائص الطبوغرافية للنيل في هذه المناطق، حيث تتشعب مجاريه إلى أفرع رئيسة، كفرعي دمياط ورشيد، بالإضافة إلى العديد من القنوات والخلجان التي تنتهي عند الساحل الشمالي على البحر المتوسط (بحر الروم) (٣)، وقد ساعد هذا التفرع في خلق علاقة مباشرة ومتداخلة بين النهر والحواضر المحلية، مما انعكس في اللغة المستخدمة في الوثائق، إذ بات لكل منطقة "نيلها" الذي يُشار إليه تبعًا لموقعه الجغرافي، لا بوصفه كياناً موحداً فحسب، بل كأداة حياتية تتصل مباشرة بحياة السكان اليومية(٤).

علاوة على ما سبق، تُظهر بعض التسميات المشتركة حضوراً لافتًا للمخيّلة اليهودية ضمن الإطار الثقافي الأوسع الذي تقاطعت فيه أيضًا التصورات الإسلامية والمسيحية في العصور الوسطى(٥)، ومن أبرز هذه التسميات ما ورد من عبارات مثل "النيل السعيد"(٦) أو "النيل المبارك"(٧)، أو النيل العظيم(٨)، وهي مصطلحات لم تقتصر على الاستخدام الديني أو الطقوسي فحسب، بل وجدت أصداءها في المدونات الأدبية والفكرية لتلك الحقبة(٩).

ويُشير هذا الاشتراك في التسمية والدلالة إلى مدى ارتباط سكّان وادي النيل من مختلف الديانات والثقافات بهذا النهر العظيم، بوصفه مصدراً للحياة والاستمرارية. لقد أسهمت الأشكال المتعددة للحياة التي يخلقها النيل على ضفتيه في ترسيخ مكانته الرمزية والوجدانية، بحيث تجاوزت حدود الانتماءات للدينية والمذهبية، وشملت كذلك مختلف الشرائح والطبقات

---

(1) ***CUL ,T-S,Ar.30.102.؛ T-S 20.114 .***

(2) ***CUL ,T-S,Ar.38.119.***

(٣) ابن فضل الله، أحمد بن يحيى العمري(ت: ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م).: **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (أبو ظبي: المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢م)، ج٣، ص٤١٦-٤٢٠، ج.١٢، ص١٥٥.

(4) ***CUL ,T-S,Ar.38.119.***

(5) CUL , ***T-S Ar.38.119.***

(6) **JRL Series L 165.**

(7) *Ibid.*

(8) CUL ,T-S***12.710***. ؛ Phillip Ackerman-Lieberman: **"A Partnership Culture: Jewish Economic and Social Life Seen Through the Legal Documents of the Cairo Geniza"** (PhD diss., Princeton University, 2007), Pp122-124.

(٩)الحجازي(ت: ٨٧٥ هـ/ ١٤٧٠ م): **نيل الرائد فى النيل الزائد**، مخطوط بمكتبة باريس الوطنية، رقمها ٢٢٦١، لو١٣.

الاجتماعية. ويؤكد ذلك أن التقديس الرمزي للنيل لم يكن حكراً على جماعة دون أخرى، بل كان ظاهرة ثقافية شاملة تنبع من التجربة اليومية والروحية المشتركة لسكان المنطقة.

واستناداً إلى ما سبق؛ يمكن القول بأن تنوّع المسميات الواردة عن النيل في وثائق الجنيزا، ما بين أسماء ذات طابع ديني (مثل فيشون) [1]، وثقافي/تاريخي (مثل نيلوس)، ومحلي/جغرافي (مثل نيل الفسطاط أو نيل دمياط)، علاوة على ألقاب التفخيم الكثيرة الآخرى،كلها جاءت تُعبّر عن طبيعة انعقاد وارتباط شديد في العلاقة بين المصريين والنهر، وهي علاقة تتجاوز البعد النفعي ، لتمتد لسائر أوجه الحياة المعاشة فى تلك الآباد، وترتبط كذلك بمعتقدات الناس الدينية آنذاك، لتكون امتداداً لما كان كائناً فى مصر القديمة، عندما كان هذا النهر من مقدسات اللاهوت المصري القديم [2].

المبحث الثالث: الفيضان وقياسه بوصفه حدثًا في الوعي الشعبي.

أما فيما يتعلّق بفيضان نهر النيل، وهو الحدث الأجل والأكثر مركزية في الوجدان المصري في السياق الإسلامي[3]، فقد احتل مكانة عظمى في المخيال الجمعي، وهو ما يمكن ملاحظته فيما أُفرد له من حيّزٌ واضح في الحوليات للتاريخية التي دوّنها أبرز مؤرخي تلك الحقب، سواء في العصر الفاطمي[4] أو الأيوبي[5]، أو حتى المملوكي[6].

---

(1) *Firk, **Yevr. II A 1265***
(2) CUL ,***T-S Ar.38.119.***
(3) الحجازي، **نيل الرائد فى النيل الزائد**، لو١٣. ؛ الأفقهسي(ت: 808هـ / ١٤٠٥ م): **أخبار نيل مصر**، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى ونعمات عباس محمد، (القاهرة: مركز تحقيق التراث، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص٦٧.
(4) المقريزي(ت: ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال (ج١، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، وتحقيق محمد حلمي محمد أحمد (ج٢، ١٣٩١هـ/١٩٧١م؛ ج٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).ج١، ص١٢٩؛ ج.٢، ص١٤٤.
(5) المقريزي: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج.١، ص١٦٥.
(6) انظر حوليات المؤرخ ابن أيبك (ت: بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م) في تاريخ مصر منذ الفتح الإسلامي، إذ لا يكاد يترك حوليةً من الحوليات إلا ويبدأها بذكر "**منسوب ماء النيل المبارك**" بهذه الصيغة. وللمزيد انظر: للدواداري(ت: بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق محمد السعيد جمال الدين وآخرون، (القاهرة: قسم الدراسات الإسلامية، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)،ج٤-٧.

ويُلاحظ أن صـــدى هذا الحدث لم يقتصـــر على فى تحديد آثاره ومؤثراته على المدونات الرســمية والمصـــادر الأدبية[١]، بل امتد كذلك _ ولكن بشــكل موســع_ إلى وثائق المراســلات الشـــخصـــية، ومن بينها وثائق الجنيزا، التي جاءت تبرهن على اهتمام عام متجذر لدى الأهالي بحدث الفيضـان، لا بوصـفه ظاهرة طبيعية دورية فحسـب، بل باعتباره علامة فاصـلة بين الرخاء والضنك[٢]، وبشرى بموسم زراعي خصب أو إنذاراً بسنة عسيرة[٣].

وتكشـــف هذه الوثائق أن الأهالي من مختلف الطبقات الاجتماعية كانوا يعبّرون عن اهتمامهم بفيضـان النيل ووفائه في مراسـلاتهم الشـخصـية[٤]، حتى إن بعض هذه الخطابات اتخذ من الوفاء مناسبة للفخر، لا سيما حين يقارنون بين ما يخص به النيل مصر من فيضـان سنوي، وبين حرمان سـائر البلاد من نعمة مماثلة، في تعبير عن شـعور بالتميز المكاني والاقتصـادي. وهو ما يدعم فرضـية أن الخبر الأهم الذي كان يشـغل بال العامة آنذاك، كما يشـغل بال مؤرخي السلطة، هو مسألة الفيضان ومنسوب مياهه[٥].

وتتفق مضامين هذه المراسلات المحفوظة، لحسن الحظ، في وثائق الجنيزا، على أن حدث الوفاء كان يُتابع بدقة مع دخول شهر "مسرى" (يقابل شهر آب/أغسطس الميلادي) [٦]، حيث تبدأ التقديرات والتحضـيرات المرتبطة بموسم الزراعة، وتظهر في الخطابات إشـارات صـريحة إلى منســوب المياه، مقرونة بعبارات التضـــرع والدعاء لاكتمال الوفاء، في دلالة على عمق ارتباط المعاش اليومي، والمهنة، والرزق، بهذا الحدث الســنوي المفصـــلي. إذ لم يكن مجرد مناســبة زراعية، بل أساساً منظّماً لبنية الحياة الاقتصادية والاجتماعية برمتها[٧].

---

(١) المقريزي: **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، نشره جمال الدين محمد الشيال، ومحمد مصطفى زيادة (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، ص١٢/ ص١٧.

(2) CUL ,***T-S 13J14.2.***
Geoffrey A. Khan: "**A Copy of a Decree from the Archives of the Fāṭimid Chancery in Egypt**," Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London 49, no. 3 (1986), p439.

(3) Omar Toussoun: M***émoire sur les anciennes branches du Nil: époque arabe***, Mémoires présentés à la Société Archéologique d'Alexandrie, tome 1, deuxième fascicule, (Le Caire: Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, 1923), pp. 72, 100–101.

(4) CUL ,T-S***NS J570. ؛ T-S 6J4.1***

(٥) أمين سامي: **تقويم النيل: وأسماء من تولوا أمر مصر ومدة حكمهم عليها وملاحظات تاريخية عن أحوال الخلافة العامة وشؤون مصر الخاصة عن المدة المنحصرة بين السنة الأولى وسنة ١٣٣٣ الهجرية (٦٢٢–١٩١٥م)**، (القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩١٦)، ج.١، ص٥٥–٧٠.

(6) CUL ,T-S***AS 144.187.***

(7) CUL ,T-S***AS 144.187.***

ويُلاحظ في هذا السياق أن بعض المكاتبات الشخصية – رغم بساطتها الظاهرية – تقدّم معطيات دقيقة تُقارب ما نجده في المصادر الرسمية، فقد أُشير في إحدى هذه القصاصات، والمؤرخة بحوالى القرن الحادي عشر ، ومكتوبة بـــ العربية على ظهر نص مكتوب بالجاديو؛ إلى أن منسوب مياه النيل، حيث ورد بها" ***اوفي النيل بفضل رب العالمين يوم الخميس سبعة في الول سبعة عشر ذراعا الحمد لله رب العالمين وصلى الله على عباده الذين اصطفى***"، وهو الرقم للذي لطالما اعتُبر في الأدبيات للتاريخية مؤشّـــراً على وفاء النيل الكلمل، كما ورد في السجلات والدواوين الرسمية(١).

ناهيك بأنه لو أُتيح تحديد سنة هذه القصاصة، لأمكن مقارنتها بما ورد في المصادر التاريخية التقليدية بشأن مناسيب مياه النيل بين الوفاء والنقصان. ومن هنا تتجلى أهمية دراسة النيل في ضوء هذه القصاصات، وموازنتها بما دوّن حول فيضانه في تلك المصادر.

علاوة على ما سبق؛ تتجلّى أهمية هذا الارتباط في ما تكشفه بعض الرسائل المتبادلة بين الأفراد في تلك الفترة، حيث يظهر _وإن بطريقة غير مباشرة _ أن الوضع المالي للأفراد كان وثيق الصلة باكتمال فيضان النيل وما يرافقه من ازدهار عام في مصر. فهذا الازدهار كان يعني رخاء الأسواق، وانتعاش الأنشطة الاقتصادية، على المستويين الفردي والسلطوي معًا. وفي النص التالي والذى هو عبارة عن مراسلة شخصية محفوظة فى بعض قصاصات الجنيزا، **مؤرخة بالقرن الخامس الهجري/ الحادي عشـــر الميلادي**، نجد فيها دلالة واضـــحة على أن ســـداد الديون الشـــخصـــية كان مرهونًا فى بعض حالاته بفيضـــان هذا النيل الخالد ووفائه من عدمه(٢):

٨- [...]وكثير من التحيات لزوجته، ولابن أخي إلياهو، ولأبنائه، واعلم أنه...

٩- [...]أنه لديه شهران ونصف، وعندما يرتفع النهر...

١٠- [...]الدين الذي عليه في الخارج (؟)، وسيأتي إليكم، وكثير من التحيات.

١١-[...] ... وزوجته مرشيني، وابنه شمَرْياه، وأقسم عليكم إن ...(٣)

بل وجاءت في وثيقة أخرى ربط بين فيضـــان النيل ووفائه وقدرة الدولة المركزية على خوض حملات عسكرية خارج حدودها، وما صاحب ذلك من توسع للدعوة الفاطمية ، كما كان

(1) CUL ,T-S*10J12.15. (verso)*
(2) CUL ,T-S*6J4.1.*
(3) CUL ,T-S*6J4.1.*

الحال في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ووزيره اليازوري[١] تقريباً، حيث تزامن الحديث عن وفاء النيل مع الإشارة إلى توسع الدولة في سكّ العملة وتوجيه الحملات نحو الشام، وهو ما يعكس، بجلاء، ارتباط القوة الداخلية للدولة بالخصب الذي يتيحه النهر[٢].

ومن أبلغ ما ورد في هذا السياق، ما ختم به أحد المرسلين خطابه إلى عمّته، حيث يقول[٣]:

١. (١٣)شرحه. وإن الماء قد وفى، وهو في يومنا هذا خمسة
٢. (١٤) من سبعة عشر، والبلد بلد حسن وأمان ورخاء وفرح،
٣. (١٥) كل يوم يُفتح للسلطان البلاد، وقد ضُربت له السكة،
٤. (١٦) والدعوة في منابر مكّة، وانفتح له .

.ويُظهر هذا المقطع، بما يحمله من دعاء وحنين وترقّب، كيف أن النيل كان حقيقيًّا "نبضًا مشتركًا" بين الأهالي، لا مجرد نهر، بل ركيزة وجدانية ومعيشية تُعلّق عليها آمال الجماعة، وتُقاس بها حركة التاريخ في أعماق الحياة اليومية[٤].

في الواقع، لم يقتصر تناول وفاء النيل في وثائق الجنيزا على الإشارات الواردة في المراسلات الشخصية بين الأفراد، بل امتد ليشمل جانباً بالغ الأهمية يتمثّل في محاولات فردية موثّقة لقياس منسوب فيضان النيل. وهنا لا يدور الحديث عن طقوس أو ممارسات للتنبؤ بحدوث

---

(١)**وهو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري(٤٥٠-٤٤٢/١٠٥٨-١٠٥٠م):** الوزير فيما بعد، من أجل وزراء الفاطميين ودهاتهم، وأصله من بلدة يازور من أعمال فلسطين، وكان يلي قضاءها وعزل عنه، فانتقل لمصر لغرض السعي للعودة لوظيفته؛ على أنه استقر بها وخدم الفاطميين فيها، حتى التحق بديوان السيدة رصد بتزكية من رفق الخادم أحد الأساتذة المحنكين، وما أن تمت توليته الديوان؛ حتى برز اسمه كأحد أهم رجال الدولة، مما أثار حنق كبار أرباب الوظائف عليه، على أنه نجح في التخلص من مكائدهم، وخلص له منصب الوزارة بنهاية المطاف، بعدما تمت له السيطرة على السيدة رصد والدة الخليفة. للمزيد راجع؛ ابن الصيرفي(ت: ٥٤٢ه/١١٤٧مـ): "**القانون في ديوان**" **يتلوه "الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة**"، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، بيروت، ١٩٩٠م، ص٧٣_٧٥.؛المقريزي: اتعاظ ، جـ٢، ص١٩٥_١٩٧.

(2) CUL ,T-S ***K25.189***

(3) S. D. Goitein, "**Side Lights on Jewish Education from the Cairo Geniza**," in Gratz College Anniversary volume (Philadelphia: Gratz College, 1971), pp83-110.

(4) CUL ,T-S***6J4.1***

الفيضان، كما عُرفت في بعض المصادر التاريخية[١]، بل عن محاولات فردية غير رسمية سعت إلى إجراء قياس فعلي ودقيق لمستوى مياه الفيضان نفسه.

هذه المحاولات، كما وردت في إحدى الوثائق، لا يمكن اعتبارها مجرد ملاحظات عابرة أو حالات استثنائية، إذ اتخذت شكلًا منهجيًا منتظمًا، أقرب ما يكون إلى "اليوميات المدونة"، أو سجلات ميدانية مستمرة، رُصدت فيها مستويات الفيضان بشكل دوري[٢].

وقد تمثلت هذه الظاهرة – حتى الآن – في ورقة واحدة مطوّلة[٣]، والمكتوبة بطريقة الجاديو(Judaeo-Arabic)، والمؤرخة بسنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، أي في عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب[٤]، والملاحظ أن أسلوب التدوين المنظم فيها يُرجّح أنها لم تكن وثيقة وحيدة، بل جزءاً من مجموعة متكاملة، ربما فُقدت أو لم تُفهرس بعد ضمن باقي وثائق الجنيزا. ويُعزّز هذا الاحتمال انتظام التدوين داخل الوثيقة، حيث رُصد منسوب المياه يوماً بيوم، مع تسجيل دقيق لحالة النهر، سواء بالزيادة أو النقص أو الثبات، وذلك وفقًا للتقويم القبطي القديم، ما يشير إلى وعي زمني دقيق لدى الكاتب، واستخدام نظام حسابي واضح[٥].

---

(١) يُذكر أنّ من أبرز الأساليب التي استُخدمت للتنبؤ بمستوى فيضان النيل قياس **وزن طين مجرى النهر** عند بدايات الفيضان، ثم إعادة وزن كمية أخرى من الطين نفسه في اليوم التالي لرصد أي تغيّر في كثافته أو تركيبه قد يُستدلّ منه على حجم الزيادة المتوقعة في منسوب المياه. وقد أشار المقريزي إلى أنّه جرّب هذه الطريقة بنفسه وحققت نتائج دقيقة في أكثر من مناسبة. كما شملت محاولات التنبؤ مراقبة **سلوك بعض الحيوانات النيلية**، ولا سيما فرس النهر، إذ كان اتّجاهه المبكر نحو الشاطئ يُعدّ مؤشراً على فيضان مرتفع، كلما اتّسع نطاق خروجه إلى أطراف ضفاف المجرى. للمزيد يُنظر؛ المسعودي(ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل پلا، بيروت: جامعة لبنانية، قسم الدراسات التاريخية، ١٣٩٣ه/ ١٩٧٣م، ج.٢، ص٨٤.؛ المقريزي(ت:٨٤٥ه/١٤٤٢م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، نشر دار الكتب العلمية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج.١، ص١٢٨.؛المناوي: النيل، ص١٤٦.

(2) CUL ,T-S**AS 144.187.**

(3) *Ibid.*

(٤) ***السلطان الملك نجم الدين أيوب(٦٣٧_٦٤٧ه/١٢٤٠-١٢٤٩م):*** **هو ابن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب الدوينى، المولود بمصر (سنة ٦٠٣ه/١٢٠٦م)**، والمتوفى بها (سنة ٦٤٧ه/١٢٤٩م)، سابع سلاطين الأيوبيين فى مصر، تولى بعد فترة سلطنة صغيرة لأخيه العادل الثاني، حيث انتزع منه السلطنة، لضعفة، حيث تشير المصادر إلى أن السلطان الصالح كان عظيم الهمة، بعيد التطلع، نجح لحد كبير فى توحيد جبهتى مصر والشام، وإعادتها لما كان عليه الحال إبان عهد السلطان صلاح الدين. ***للمزيد عن نجم الدين أيوب ومولده ونشأته وحروبه انظر؛*** ابن واصل(ت:٦٩٧ه/١٢٩٨م): **مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب**، تحقيق جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٩٥٣م، ج.٥، ص٣٦٥.؛ ابن واصل: **التاريخ الصالحى**، تحقيق عمر عبدالسلام تدمرى، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ٢٠١٠م، ج.٢، ص٣٣٦.

(5)CUL ,T-S**AS 144.187.**

وهذا النوع من التوثيق، وإن بدا فردياً، فإنه يحمل قيمة نوعية كبيرة؛ إذ يمثل وجهًا آخر للممارسة الاجتماعية المرتبطة بالنهر، تختلف عن تلك التي مارستها الدولة من خلال المؤسسات الرسمية. فبينما أنشأت السلطة مقاييس نهرية ثابتة[١]، مثل "مقياس الروضة"[٢]، واستخدمتها لأغراض متعددة، اقتصادية وسياسية ودعائية، فإن هذه المحاولة الفردية تعبّر عن اهتمام شعبي خالص، نابع من الحاجة اليومية والقلق المعيشي المباشر تجاه الفيضان. كما أنه لا يُستبعد أن يكون هؤلاء الأفراد قد استخدموا وسائل بديلة، غير تلك الرسمية، لقياس منسوب المياه، ربما أدوات بدائية بسيطة وغير مكلفة، تتناسب مع إمكاناتهم المحدودة[٣].

ويُحتمل، إذا تم العثور على مزيد من هذه الوريقات، أن تتضح أشكال تلك الأدوات والطرائق التي استخدمها العامة في القياس، الأمر الذي من شأنه أن يفتح أفقًا بحثيًا جديداً لفهم آليات المعرفة والتفاعل الشعبي مع الظواهر الطبيعية، بعيداً عن النماذج السلطوية. كما أن غياب أي إشارة لمثل هذه الممارسات في المدونات الرسمية يزيد من أهمية هذه الوثائق[٤]؛ إذ تقدم مادة تاريخية نادرة تُلقي الضوء على نشاط غير موثق في الأدبيات التقليدية.

والحقيقة أن هذه الوثيقة، رغم أحاديتها، فأنها_ وبلا شك_ تكشف عن مركزية حدث الفيضان في الحياة اليومية للأهالي، وتُظهر أن مراقبته لم تكن حكراً على موظفي للدولة أو المحتسبين الرسميين[٥]، بل كانت من صميم اهتمامات الأفراد، الذين سعوا إلى تسجيله وتحليله ضمن حدود قدراتهم، وإدراكاتهم للزمن والمكان. وهذه الوثيقة، إن دلّت على شيء، فإنما تدل على أن التاريخ لا يُكتب فقط من أعلى، بل يمكن استخلاصه – بثراء كبير – من أسفل[٦]، من

---

(١) الأقفهسي، **أخبار نيل مصر**، ص٦٧. ؛الحجازي: **نيل الرائد فى النيل الزائد**، لو١٣. ؛ المنوفي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م): **الفيض المديد في أخبار النيل السعيد**، تحقيق محمد الزاهي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٨م)، ص ٧٧-٨٢.؛ أمين سامي، **تقويم النيل**، ج.١، ص٥٥-٧٠.

(٢) ***مقياس الروضة:*** بُني هذا المقياس في عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢-٢٤٧هـ / ٨٤٧-٨٦١م)، على يد والي مصر آنذاك عنبسة بن إسحاق الضبي سنة ٢٤٧هـ / ٨٦١م. وقد أقيم في جزيرة الروضة الواقعة قبالة شاطئ العاصمة الفسطاط، والمُحاطة بمياه النيل من جميع جوانبها. وهي الجزيرة نفسها التي شيّد فيها السلطان نجم الدين أيوب لاحقًا مباني "الطباق الخاصة" بالمماليك. كان الغرض من إنشاء هذا المقياس ضبط قياس منسوب مياه النيل بدقة، لما لهذا الأمر من أهمية بالغة في إدارة شؤون الري والزراعة والجباية. وقد ظلّ محل عناية السلطة في مصر عبر العصور المختلفة، حيث حظي بالترميم والتجديد المستمر من قِبل الحكام المتعاقبين، لما له من دور محوري في رصد فيضان النيل وتقدير موارده. للمزيد يُنظر: المقريزي: الخطط، ج٢، ص١٧٧؛ ج٣، ص٣١٣-٣٢٢.

(3) CUL ,T-S,AS 144.187.

(٤) كاهين: **المجتمع اليهودي**، ص٩٦-١٠٠.

(٥) أمين سامي: **تقويم النيل**، ج.١، ص٥٥-٧٠.

(٦) كاهين: **المجتمع اليهودي**، ص٩٦-١٠٠.

حيث كان الناس يصـــغون لأنفاس النهر، ويحصـــون نبضـــه، في محاولة للفهم والتأقلم والتنبؤ بمصائرهم اليومية(١).

- **المبحث الرابع: الارتباط بالنيل من خلال الكُنى والمسميات والتميز الجغرافي.**

كذلك، من الملاحظات اللافتة عند تناول صورة نهر النيل في ضوء ما ورد في قصاصات وأوراق الجنيزا، تلك الأدعية والتعابير الوصـــفية التي أُطلقت على هذا النهر في متون الوثائق، والتي تكشـــف عن البعد الرمزي وللديني والوجداني للذي احتلّه النيل في وجدان المدونين ومراسلاتهم.

فقد وردت في هذه النصـــوص نعوت تدل على التعظيم والإجلال، إلى جانب أدعية وابتهالات تبتهل إلى الله من أجل "وفائه" واكتمال منسوب مياهه، وهو ما يعكس تصوراً شعبياً للنهر لا يراه مجرد مورد مائي فحسب، بل رمزاً للنجاة، والطمأنينة، والعطاء الإلهي المستمر(٢)، يمكن كذلك رصد اتجاه ذي طابع شعبي يتمثّل في انتشار تلاوة مجموعة من التراتيل والصلوات، التي ربما يعتبر بعضها شكل من أشكال التعاويذ، والممارسات التي يمكن تصنيفها ضمن إطار العادات الشعبية الشائعة آنذاك لدى بعض الفئات(٣)، والتي ارتبطت في معتقدهم باكتمال فيضان النيل(٤).

ويبدو أن هذه الممارسات تمثّل امتداداً لبعض التقاليد التي سادت في مصر القديمة، وربما استمرت إلى العصر الإسلامي، حيث جرى الربط بين اكتمال الفيضان وتلاوة نصوص أو تراتيل ذات طبيعة دينية(٥)، ويعكس ذلك مستوى من أشكال التقديس للنيل، نابعاً من الإدراك العميق لأهميته ودوره المحوري في ضمان استمرارية الحياة للعائشين على ضفتيه.

وعلى ما يبدو أنّ هذه الممارسات كانت تتخذ في بعض الأحيان شكلًا خاصًا من أشكال الطقوس المغلقة، أشبه بما يمكن وصفه بـ"الجيتو اليهودي"(٦)، إن صح تسمية هذه الكتابات بذلك، حيث التراتيم والتعاويذ المرتبطة بفيضـــان النيل، ولكن تداولها على ما يبدو كان قاصـــراً على الجالية اليهودية، كما توضح بعض النصوص الواردة فى قصاصات الجنيزا(٧).

---

(١) الحجازي: **نيل الرائد فى النيل الزائد**، لو١٣. ؛ الأقفهسي: **أخبار نيل مصر**، ص٦٧. ؛ أمين سامي: **تقويم النيل**، ج.١، ص٥٥-٧٠.

(2) CUL ,T-S**AS 144.187**.
(3) CUL ,T-S***Misc.8.84.***
(4) JTS, ***ENA 3951.1*** ؛ JTS, ***ENA 3951.2***
(5) JTS, ***ENA 3951.1*** ؛ CUL ,T-S***AS 144.1***
(6) JTS, ***ENA 3951.1***
(7) JTS, ***ENA 3951.1***

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤

ما جعلها حبيسة الجالية اليهودية آنذاك، هو ما تشير إليه المصادر إلى أنّ تلك الحقبة[١]، وما سبقها، شهدت شيوع اعتقاد شعبي بما يمكن أن نسميه بـ"تسحير النيل"[٢]، حيث سادت حالة من الترقب والريبة تجاه ما يُلقى في مجرى النهر من كتابات أو أية أوراق، بل إنّ البعض وُجّهت إليه بالفعل تهم تتعلق بمحاولة التأثير على مستوى فيضان النيل ووفائه، حتى وإن كان ما ألقاه، لا يتعدى أوراقًا عادية أُلقيت بدافع التسلية أو الخيال[٣]، أو حتى الشطوح العقلي اللحظي، إذ كان يُنظر إلى من يقوم بهذه الأفعال، ولو بدافع العبث، باعتباره يمارس طقوساً سحرية مضادة تحول دون وفاء فيضان النيل[٤].

وليس هنا من شك أن هذا الاعتقاد قد ولّد حالة من الحذر الشديد لدى من يؤمن بقدرة الترانيم والتعاويذ على التأثير في مياه النيل[٥]؛ إذ إنّ عدم وفاء الفيضان بعد ممارسة هذه الطقوس، قد يكن كفيلًا بإثارة الشبهات بأن الفاعل لجأ إلى تعاويذ مضادة لارتفاع المياه، ويبدو أنّ الاختلاف الديني بين اليهود من جهة، والأغلبية المسيحية والإسلامية آنذاك من جهة أخرى، عزّز هذه المخاوف، وجعل الأدعية والترانيم أحيانًا حبيسة القصاصات والشذرات الورقية، التي حُفظ كثير منها عبر مدافن الجنيزا اليهودية.

(١)تظهر قضية تسحير النيل صدى لافتًا في عدد من المصادر التاريخية، حيث يورد كلٌّ من القفطي وابن خلّكان روايةً تتعلق بالأديب والفقيه المصري أبو جعفر النحاس النحوي المصري (أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، المتوفى سنة ٣٣٨هـ/٩٥٠م). وتذكر الروايات أنّه اتُّهم في إحدى المرات بممارسة فعلٍ من أفعال "تسحير النيل"، وذلك عندما شوهد، جالسًا بجوار مقياس النيل، وهو يلقي في مجرى النهر بعض القصاصاتٍ التي كانت تضمُ أساسًا أبياتًا شعرية كان يكتبها. وقد أُوِّلت هذه الممارسة على أنّها نوع من الطقوس السحرية المرتبطة بالنيل. للمزيد عن ذلك يُنظر؛ القفطي (ت: ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، (القاهرة: دار الفكر العربي؛ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٢)، ج١، ص ١٣٦-١٣٧. ؛ ابن خلكان (ت: ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، ط ٧، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤)، ج.١، ص٩٩_١٠٠.

(٢) القفطي: **إنباه الرواة**، ج١، ص ١٣٦-١٣٧.

(٣) ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج.١، ص٩٩_١٠٠.

(٤)أحمد بن علي للدلجي: **الفلاكة والمفلوكون**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣)، ص ٨٥.؛عبد المنعم عبد الحميد سلطان: **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**: دراسة تاريخية وثائقية، (الإسكندرية: دار الثقافة ، ١٩٩٩)، ص33.

(٥)عبد المنعم عبد الحميد سطان: **بعض مظاهر المساوئ الاجتماعية في مصر الفاطمية**، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، ع ٢ (ديسمبر ١٩٨٢)، ص٨١. ؛ أسماء محمد مهنى: **المعتقدات الشعبية في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-١١٧١م)**، (جامعة المنيا، كلية الآداب، قسم التاريخ، ٢٠٢٣)، ، ص٣٦٧-٣٦٨.

كما تطرح هذه الوثائق؛ أن تصوراً عاماً كان شائعًا بين عدد غير قليل من أتباع الديانات السماوية الثلاث في مصر خلال العصرين الفاطمي والأيوبي(٣٥٨-٦٤٨هـ / ٩٦٩-١٢٥٠م) [١]، مفاده أنّ اكتمال فيضان النيل وارتفاع منسوبه ربما يرتبط بتلاوة أوراد ونصوص دينية محددة.

ثم تأتي بعض قصاصات الجنيزا لتشير إلى شكل أخر من أشكال التقدير والتقديس أبداه الأفراد فى هذه العصور تجاه هذا النهر العظيم[٢] ، إذ اتخذ هذا التقدير بُعداً طريفًا اتسم بملامح الفخر المَجالي والجهوي، ففي وثيقة مؤرخة تقريباً بنهلية العصر الفاطمي وبدلية الأيوبي، ومكتوبة باللغة العربية، تحتوي على أدعية وآيات قرآنية، لازمها إشارة إلى تميز مصر عن غيرها بوجود نهرالنيل بها[٣].

والحقيقة فقد ارتبط هذا الشعور ـــ في جوهره ـــ بخصوصية الموقع الجغرافي لمصر وتفرّدها الطبيعي، حيث فَهِم المصريون حادثَ الفيضان باعتباره ظاهرة مقصورة على أرضهم دون غيرها من الأقطار والأمصار المحيطة، بما في ذلك تلك التي يوجد بها أنهار، وهو ما انعكس بصورة مباشرة على مختلف أوجه الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية طوال العام [٤].

وقد كان يُعتقد حتى وقت قريب أن هذا التميّز في التصوّر مقصور على المؤلفات الأدبية المدوّنة عن مكانة مصر في ظل الحضارة الإسلامية[٥]، والتي ظاهرت مبكرا مع نهايات القرن الثالث الهجري وبدايات الرابع، واستمرت حتى نهاية العصر الإسلامي، وجاءت تؤكد على مكانة مصر وفضائلها وتفردها.

غير أن قصاصات الجنيزا تكشف أن هذا الاتجاه لم يكن حكراً على نخب المؤلفين والمصنفين ممن كتبوا عن مصر ومكانتها فى ظل الحضارة الإسلامية، بل تَجاوزهم ليصل إلى

---

(1) **JTS** ,***ENA 3951.1***

(2) ***CUL ,T-S,Ar.30.102***.

(3) CUL ,T-SAr.30.102.

(4) Toussoun , branches du Nil, pp. 72, 100–101.

(٥) ابن الكندي، عمر بن محمد بن يوسف (ت: ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م): ***فضائل مصر المحروسة***، تحقيق علي عمر ، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص ١١.؛ ابن زولاق(ت: ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م): ***فضائل مصر وأخبارها وخواصّها***، علي تحقيق: محمد عمر، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)، ص ٤.؛ الوطواط الكتبي(ت: ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م): ***مباهج الفكر ومناهج العبر***، مخطوط محفوظ في مكتبة بلدية إسطنبول، رقم ٤١٧٨، ج ٢، لوح ١٨. ؛ ابن دُقْمَاق(ت: ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م): ***الانتصار بواسطة عقد الأمصار***، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، (الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م)، مج ١، ص ١٠.؛ القلقشندي(ت: ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م): ***صبح الأعشى في صناعة الإنشاء***، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ج.١١، ص٤٣٢.؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٣.

أعمق ما في البنية الاجتماعية، وهو فرد المجتمع العادي وتعبيراته، وهذا ما يتضح جلياً من كتابات الأفراد فى مراسلاتهم، ومثل ذلك ما جاء فى قصاصة جنيزا، قد ورد فيها ما يلي[١]:

١. "به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا

٢. يبصرون" [مصر]ظاهرة على سائر الدول بوفا النيل المبارك

٣. و]القتها من عارض بقصة وافته منه فيه هالك(؟) ويقال(وتعالى؟؟)

٤.]عضده

هنا وبشكل واضح وجلي يظهر إدراك كاتب النص، الذي لم تُظهِر القصاصةُ اسمَه ولا وظيفتَه، أنَّ مصرَ منفردةٌ وظاهرةٌ على كلفة للدول بماذا؟!، الإجلبة: بوفاءِ النيل[٢]، وهذا له دلالةٌ وخصوصيةٌ عاليةٌ في سياق إدراك قيمةِ مصر مقارنةً بما يُجاورِها من نواحٍ وبلدا لم تقتصر على النخب كما سبق الإشارة، إنما امتدت لتشمل كافة الطبقات تقريباً.

وعلاوة على ما سبق؛ تبرز وثائق الجنيزا جوانب أخرى من مظاهر التقديس لهذا النهر وفيضانه من خلال الصور التخيلية والاستعارية التي ظهرت في الأشعار والمخاطبات، والتي جعلت من النيل كياناً حيًّا، جديراً بالثناء[٣]، وموضعاً للرجاء والخوف معًا. وبهذا التصور، يظهر النيل في المخيلة الشعبية ككائن شبه مقدّس، يتسم بالحياة والتأثير والقدرة على تغيير المصائر، وهو ما يُفهم من تواتر الأدعية المرتبطة به، وكثرة الإشارات لكرمه وخيره وربما غضبه أيضًا في حال نقصانه. [٤]

ومن أبرز المؤشرات على هذا الارتباط العميق والوجداني بين الأهالي والنيل، ما تكشفه عدد من المراسلات الشخصية التي تضمنت كُنى أو أنسابًا تنتهي بلقب "النيلي"، وهي دلالة لا تخلو من أهمية. إذ يُستشف من هذا الاستخدام أن الانتماء إلى النيل لم يكن مجرد توصيف جغرافي، بل أصبح جزءًا من الهوية الذاتية والاجتماعية لهؤلاء الأفراد. فالانتساب إلى "النيل" يعكس إدراكًا شعبيًا بأن حياة الإنسان مرتبطة جوهريًا بهذا النهر، إلى حدّ أن يُضمّن في نسبه، فيصبح "النيلي" لقبًا يحمل في طياته دلالة المكان، والانتماء، وربما الفخر أيضًا[٥].

(1) CUL ,T-SAr.30.102.
(2) CUL ,T-S,Ar.30.102.
(3) CUL ,T-S,K2.51.
(4) CUL ,T-S,K2.51.
(5) CUL ,T-S,H10.173.

إن ورود هذا اللقب، وتكراره في وثائق عدة، يفتح مجالًا واسعًا لفهم أعمق لطبيعة علاقة الفرد في المجتمع المصري فى العصر الإسلامي بمحيطه البيئي، وكيف أن هذا المحيط – وبخاصة إذا كان نهراً عظيماً كالنيل – يتحول من مجرد عنصر جغرافي إلى جزء بنيوي من الهوية الاجتماعية والرمزية للأفراد. ويُعدّ هذا التوظيف الدلالي في الأسماء والكنى مؤشّراً قوياً على مركزية النهر في تشكيل المخيلة والوجدان الشعبي، ودليلًا إضافيًا على حضور النيل في أدق تفاصيل الحياة اليومية والرمزية للمجتمعات المحلية في مصر الإسلامية(١).

المبحث الخامس: النيل كوسيلة للتنقل.

تناولت وثائق الجنيزا عدداً من الجوانب المتعلقة بالإبحار في نهر النيل، ووفّرت معلومات مهمة عن سبل التنقل عبر مياهه، انطلاقًا من مرافئه المختلفة. وقد أشارت هذه الوثائق إلى طبيعة السفن المستخدمة، وأبرز المحطات الرئيسة الواقعة على ضفتيه، بالإضافة إلى المعوقات التي كانت تعترض الملاحة فيه، سواء كانت طبيعية أو بشرية(٢).

كما اشتملت الوثائق على إشارات مهمة إلى التكلفة الفردية للسفر عبر النهر، وما كان يُنقل خلال الرحلات من سلع وبضائع، بحسب ما تضمنته العديد من الخطابات والمراسلات. وتضمنت أيضًا إشارات إلى المكوس والضرائب التي كانت تُفرض على هذه البضائع، والتي تكشف عن نظام إداري واقتصادي قائم على تنظيم حركة التجارة والتنقل بين المدن الواقعة على مجرى النهر، الممتد من أقاصي صعيد مصر إلى أعالي دلتاها ومدنها الساحلية(٣).

ورغم أن المصادر الأدبية أشارت إلى هذا الأمر، أي أمر التجارة والتنقل عبر النيل(٤)، إلا أنها لم تشر أبداً إلى الأجرة المفروضة على الأفراد والبضائع عبر هذا النهر، وهو ما جاءت توضحه قصاصة جنيزا مؤرخة بنهاية العصر الفاطمي وبداية الأيوبي تقريبًا، أي منتصف القرن السادس الهجري/ ومنتصف القرن الثاني عشر الميلادي، كما أشار لذلك جواتين، إذ ورد في خضم بعض المراسلات الشخصية آنذاك إشارة إلى الأجرة المقررة في بعض الأماكن(٥)، فمثلًا، في قصاصة غاية في الأهمية، مؤرخة ببداية القرن الخامس الهجري/ القرن الحادي عشر الميلادي، مكتوبة باليهودية–العربية، (*Judaeo–Arabic*)، يراسل فيها أخ يسمى المعلم أبو

(1) *CUL ,T-S,**H10.173.***
(2) *CUL ,T-S,**Ar.39.23***
(3) CUL ,T-S,***Ar.39.23***

(٤). المقريزي: الخطط، ج.١، ص١٣٤/ ج ٢، ص ٤٣.

(5) CUL ,T-S***16.288***. ؛ S. D. Goitein and Mordechai Akiva Friedman, India Book 3: **Abraham Ben Yijū, India Trader and Manufacturer: Cairo Geniza Documents (in Hebrew)** (Jerusalem: Ben-Zvi Institute, 2010), p. 36.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤

الخير أخيه أبو النصر محفوظ، مشيراً إليه بضرورة القدوم إلى منية غمر[١] من أعمال الدقهلية والمرتاحية في العصر الفاطمي، مبيّنًا المرسل أن أقصر الطرق إلى ذلك أن يركب النيل من مصر "الفسطاط"[٢] إلى مدينة بنها[٣]، وإن لم يستطع ركوب النيل هنالك، فليقطع الطريق براً إلى مدينة بنها ذاتها، ومن هناك يركب مركبًا صاعداً إلى دمياط[٤] ويدفع في ذلك نصف درهم[٥].

ومن خلال ذلك يمكن الترجيح أن الأجرة الكاملة لفرع دمياط من بنها حتى دمياط ربما قدّرت بثلاثة دراهم كاملة، وعلى أساس أن من بنها حتى سدس هذا الطريق تقريباً[٦]، يمكن أن يُدفع نصف درهم. ولعلّه فيما هو قادم تظهر قصاصات جنيزية أخرى تحتوي على تحديد أجرة كل ناحية من النواحي[٧]، مما سيمكّننا من فهم دقيق لآليات تحديد أكرية السفن، وما يتحصله العاملين على تلك المراكب على اختلافهم، من النواتي والمراكبي، والمعداوي من أجرة حيال ذلك، وعلى أية أسس كان يتم تحديدها، وإن كان الراجح أن ذلك مرتبط ارتباطًا وثيقًا بمناسيب الماء وعمق المجرى، وهو بدوره ما يؤدّي _ولاشك_ إلى تباين الأجرة بين مجرى النيل الرئيسي من ناحية، وبين فرعيه من ناحية أخرى، وخلجانه وترعه الجانبية من ناحية ثالثة.

وفي هذا السياق تكشف بعض أوراق وقصاصات الجنيزا عن أن مواسم سفر الأفراد بقصد زيارة الأقرباء المقيمين في الكور والأعمال البعيدة مناطق سكناهم،كلنت في حقيقتها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمنسوب مياه النيل[٨]، فقد ارتبطت حركة التنقل عادةً بأشهر الصيف والخريف

---

(١) **منية غمر – وتعرف حاليًا بميت غمر** – كانت مدينة جليلة ضمن أعمال الشرقية في أواخر العصر للفاطمي والأيوبي، وهي الأن جلائل مدن محافظة الدقهلية. للمزيد انظر؛ ابن مماتي، أبو المكارم أسعد بن المهذب(ت: ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م): **قوانين الدواوين**، تحقيق: عزيز سوريال عطية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩١)، ص ١٧٦. ؛ ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): **معجم البلدان**، (بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م)، ج٥، ص ٢١٨.

(٢) **بنها**: مدينة وناحية جليلة كانت ضمن أعمال الشرقية في العصرين الفاطمي والأيوبي، وهي اليوم مركز بندر محافظة القليوبية. للمزيد؛ ابن مماتي: قوانين، ص١١٠.؛ ياقوت: معجم، ج.١، ص٥٠١.

(٣) **الفسطاط:** قاعدة الديار المصرية عقب الفتح الإسلامي؛ أنشأها عمرو بن العاص، وظلت عاصمة البلاد منذ الفتح حتى قدوم الفاطميين وانتقال مقر الحكم إلى القاهرة التي شُيِّدت لهذا الغرض. ويُستثنى من ذلك بعض المدن التي أُنشئت لاحقًا، مثل العسكر والقطائع، والتي تُعد في حقيقتها امتداداً عمرانياً للفسطاط. بل إن القاهرة ذاتها يمكن النظر إليها بوصفها الامتداد الطبيعي للعاصمة القديمة الفسطاط. للمزيد انظر؛ ابن مماتي: قوانين، ص٧٠-٧١.؛ياقوت: معجم، ج.٤، ص٢٦١-٢٦٦.

(٤) دمياط: ثغر مصر الأهم على الساحل الشمالي الشرقي، وهي مدينة جليلة لم تكن تابعة لأي عمل إداري في العصرين الفاطمي والأيوبي، وذلك لمكانتها الخاصة بوصفها أحد أهم الثغور في تلك المنطقة. للمزيد انظر؛ ابن مماتي: قوانين، ص٨٤.؛ ياقوت: معجم، ج.٢، ص٤٧١-٤٧٥.

(5)*CUL ,T-S,**10J12.8.***
*(6)CUL ,T-S,**10J12.8.***
*(7)Bodl. MS heb, **f 103/39.***
(8)CUL ,T-S,***8J25.8***

حتى بدايات الشتاء، بينما كان يُتجنب السفر خلال فصل الشتاء وبدايات الربيع، نظراً لكون أفرع النهر وخلجانه قد تغمرها الرواسب الطينية. وتشير بعض المصادر التاريخية[١] بالفعل إلى طمي مجرى خليج الإسكندرية في فصلي الشتاء والربيع، وإن لم تشر صراحةً إلى أثر ذلك على حركة انتقال الأفراد، وهو ما توضحه بعض قصاصات الجنيزا.

وهو ما جاءت توضحه بعض قصاصات الجنيزا، ومن ذلك قصاصة مؤرخة بأواخر القرن الخامس بدايات السادس الهجري/ أواخر القرن الحادي عشر وبدايات القرن الثاني عشر الميلادي [٢]، مكتوبة بالخط الجاديو(Judaeo-Arabic)، أى العربية المكتوبة بحروف عبرية، وقد ورد فيها النص التالي. :

١. [...عمتي ست الجمال
٢. أدام الله سعادتها ورزقها في الدارين إذا أرادها
٣. وينهي بين يديها كثرة الشوق إليها والتأسف على الفائت
٤. من ملاحظتها، فالمسؤول من المالك التواب أن يجمع
٥. بيننا على خير وعافية بمنّه وفضله، وهو القادر على ذلك إن شاء الله.
٦. وسوى ذلك فإنني بحمد الله تعالى على جملة السلامة، ولم أعدُ
٧. سوى نظرتها، ولا شك أنني سيرت عدة كتب ولم يصلني منكِ
٨. جواب، والمقصود أن ما بقي لي عائق عن الحضور إليها
٩. إلا أسباب ضرورية أعاقتني عن الحضور، وأنا بعون سيدي
١٠. عندكم في علو مجرى النيل، إن سبب الله حياة. والمقصود منها
١١. أن لا تُخلي لها عائق يعيقها، فتهنأ روحها وتهنأ
١٢. الناس، وإن علمتِ أن لها تسييراً، فأعلميني حتى لا أتعب
١٣. في المجيء إليها، وإن كان لها حاجة تهيئها، لأنني
١٤. إذا [...] لـــ[.....]

ويكشف النص عن أثر واضح للنيل في تحديد أوقات حركات السفر والانتقال للأفراد خلال تلك الحقبة، وهي حركات[٣]، وإن اتخذت طابعاً موسمياً في كثير من الأحيان، غير أنها كانت المفضلة، إذ كان الاعتماد على مجرى النيل يضفى عليها قدراً من الأمان؛ على أساس أن

(١). المقريزي: الخطط، ج.١، ص١٣٤/ ج .١، ص٣١٥.

(2)CUL ,T-S,***8J25.8***
(3)CUL ,T-S,***8J25.8***

ضـــفافه كان يقام عليها عامر النواحي والبلدان، الأمر للذي قلَّل من فرص تعرّض المنتقلين والمســـافرين بأمتعتهم عبره لأي هجمات أو اعتداءات ، على خلاف ما كان يحدث غالبًا في التنقلات البرية.

ومع ذلك فلم تخلُ بعض قصاصات الجنيزا من ذكر بعض التجارب الشخصية القاسية في الســفر من خلال نهر النيل، حيث ورد صــداها في شــكل رســائل تصــف مشــاق الرحلات وأهوالها[١]، ففى قصاصة جنيزا مؤرخة بالقرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، مكتوبة بطريقة الجاديو(Judaeo-Arabic)، أشار كاتبها إلى المعاناة التي لحقته جراء الإبحار فى نهر النيل بقوله:

١. **شدة عظيمة في الطريق من مرض الركاب.**
٢. **وروائح كريهة جدًا وانتهى بهم الحال.**
٣. **إلى أن مات منهم ثلاثة أنفس والميت.**
٤. **الأخير أقام يومًا ونصفًا إلى أن جاف وبقي.**
٥. **المملوك في شدة من الرائحة التي نافحته.**
٦. **منه وقارب الهلاك، فلولا أن الله تعالى.**
٧. **لطف ورحم بفضله وسهَّل الطريق وكان.**
٨. **وصول المملوك إلى إخميم يوم الجمعة.**
٩. **ممسي فطلع المملوك إلى البلد يَسْبُت فيه.**
١٠. **وفيه طلب من أصحابه ... له...**

واللافت في بعضـــها أن هذه المعاناة لم تكن ناتجة عن طبيعة مجرى النيل الهادئ غالبًا، كتلك الأهوال التي لازمت الإبحار فى البحور المالحة فى العصـور القديمة والوسـيطة، بل كانت متعلقة بما يمكن أن نُطلق عليه "أخلاقيات المســـافرين"[٢]، من ســـلوكيات وأفعال أرهقت من شـــاركهم الرحلة من المســـافرين ورافقتهم طوال مدة الرحلة، التي قد تمتد في بعض الأحيان لعشرات الأيام[٣].

(1) CUL ,T-S, ***NS 329.999***
(2) CUL ,T-S,***NS 329.999***
(3) CUL ,T-S,***NS 329.999***

وفى هذا الصدد تشير قصاصة جنيزا أخرى، مؤرخة بين(القرنان الخامس و السادس الهجري/الحادي عشر والثاني عشر الميلادي) إلى خطاب صادر عن وكيل أعمال موجه إلى صاحب العمل[١]، مكتوب بالعربية، ويتعلق بنقل الحطب عبر نهر النيل، وجاء فى نصه ما يلي:

١. **واما الحطب فقد وصل الى القيس[٢] ثلثاين حمل من حساب**
٢. **ثلثة دراهم وربع الحمل وبقية الحطب جميعه باقي في**
٣. **منبال من حساب درهمين الحمل الى النيل يحمل**
٤. **ودرهمين(؟؟)**
٥. **فقد سير منه عشرة احمال واصحاب المراكب يحتجوا بالوحلات**
٦. **واذا زاد الما شي تعوم فيه المراكب جيد سير البقية الذي في القيس(؟)**

يُفهم من مضمون الخطاب أن الوكيل قد أتم بالفعل نقل ثلاثين حمولة، بينما تبقى ما يقارب عشر حمولات لم تُنقل بعد. وتُطرح في الوثيقة إمكانية حدوث تأخير في استكمال هذه الكمية المتبقية، ويرجّح أن يكون السبب في ذلك مطالبة أصحاب المراكب بزيادة أجور النقل[٣]، من درهمين وثلاث دراهم لبعض الحمولات لمبلغ إضافي لم تشر الوثيقة المبتورة إليه، ويُبرر أصحاب المراكب هذه المطالبات بصعوبات ملاحية ناجمة عن وجود وحل وعوائق طبيعية تعيق الإبحار بسهولة.

تعكس هذه الوثيقة جانباً مهماً من آليات نقل السلع والبضائع الأساسية في الأسواق المصرية خلال العصر الإسلامي، وتُبرز مدى الترابط الوثيق بين حركة النقل النهري والعاملين في هذا القطاع. إذ إن تعثّر استكمال نقل الحمولات المتبقية جاء نتيجة مطالبة أصحاب المراكب بزيادة أجور النقل، تحت ذرائع تتعلق بصعوبة الملاحة. ومن المحتمل أن يكون أصحاب المراكب محقين في مطالبهم، نظراً لأن جريان النيل يبدأ بالتراجع ويغدو موحلًا بالفعل بعد انقضاء موسم الفيضان، الذي يمتد سنوياً تقريباً من شهر أبيب (يوليو/أغسطس) حتى توت

(1) CUL ,T-S,***Ar.39.23***

(٢) لعل المُرسَل يقصد بالقيس ناحية "محلة القيس" التابعة لعمل البحيرة آنذاك. للمزيد يُنظر: ابن مماتي، ***قوانين الدواوين***، ص ١٨٩

(3) CUL ,T-S,***Ar.39.23***

(سبتمبر/أكتوبر) [١]، ويستمر منسوب المياه في الانخفاض تدريجياً حتى يبلغ أدنى مستوياته خلال أشهر الربيع ، وهي برمودة (أبريل)، وبشنس (مايو)، وبؤونة (يونيو) [٢].

ورغم أن هذه الأشهر تمثّل موسم الحصاد، لا سيما لمحصول القمح وبعض الزراعات الأخرى،فإن انخفاض منسوب النيل في نهليات الموسم الزراعي لا يؤثر فقط في الإنتاج الزراعي[٣]، بل ينعكس مباشرة على تكلفة النقل النهري. ويُستدل من ذلك على أن النيل، في تصريفه ووفائه، لم يكن عاملًا محدداً في إنتاجية الأرض الزراعية فحسب[٤]، بل كان أيضًا عنصراً حاسماً في تحديد حجم النفقات اللوجستية المرتبطة بنقل المحاصيل والسلع[٥].

وهو ما يتأكد للحالة التي تعرضها القصاصة، إذ أن تأجيل نقل حمولات الحطب من قِبل أصحاب المراكب سيضع صاحب العمل_بلا شك_ أمام خيارين: إما الرضوخ لتلك المطالب المالية المتزايدة، أو الامتناع عن نقل الكمية المتبقية، وفي كلا الحالتين، يُرجّح أن يؤدي ذلك إلى تقليص المعروض في السوق، ومن ثمّ ارتفاع أسعار الحطب، باعتباره سلعة أساسية لا غنى عنها في الاستخدامات المنزلية اليومية. [٦]

والأهمية الحقيقية لهذه الوثيقة تكمن في إبراز أحد الجولنب للتاريخية التى لم يلتفت إليها بحثياً[٧]، ألا وهي عمليتي الإنتاج والنقل، وتأثير نهر النيل في شبكات التوريد، وتأثير فيضانه ومنسوب مائه بعد الفيضان في آليات النقل النهري، وديناميكيات السوق في مصر فى السياق الإسلامي.

---

(١) ابن مماتي: **قوانين الدواوين**، ص ٢٣٥/ص٢٥٦_٢٥٧.

(٢) المخزومي(ت: ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م): **المنتقى من كتاب المنهاج في علم خراج مصر**، تحقيق: كلود كاهن، مراجعة: يوسف راغب، (القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ملحق حوليات إسلامية، عدد ٨، ١٩٨٦م)، ص٢ ما بعدها؛ ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٥٠.

(٣) ابن مماتي، قوانين الدواوين، ص٢٥٠.؛ محمد محمود أبوزيد، الريف المصري في العصر الإسلامي، الطبعة الأولى، (المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٩٩٨)، ص١١٢.

(٤) النابلسي(ت: ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م): **لمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية، وملحقه: تجريد الهمة في استخراج ما في ذمة أهل الذمة**، نشر بمجلة معهد الدراسات الشرقية (Bulletin d'études orientales)، (سوريا: دمشق، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، أعداد ١٩٥٨-١٩٦٠م)، ص٢٣/٢١.

(5) CUL ,T-S,Ar.39.23

(6) CUL ,T-S,Ar.39.23

(٧) محمد محمود أبوزيد: ***النيل ومصر: دراسة لأثر النيل في الحياه الاقتصادية والاجتماعية في مصر من الفتح الاسلامي حتى منتصف القرن الرابع الهجري*** ، الطبعة الأولى، (القاهرة: مكتبة دار الهداية للطباعة والنشر، ب.ت.)، ص١٢٦.

الخاتمة

خلص الباحث من خلال دراسته إلى جملة من النتائج البارزة، يمكن تلخيص أهمها فيما يلي:

- **إن الجنيزا تمثل تراثًا مصريًا خالصًا**، وما ورد في نصوصها من عوائد وتقاليد لا يمكن تفسيره إلا بوصفه انعكاسًا لجزء من الكل الاجتماعي والثقافي الذي نشأت في إطاره، ولا يجوز حصرها في إطار ضيق باعتبارها مجرد تعبير عن الأقلية التي قامت بتخزين هذا التراث، والدليل كتابة بعض منها بالعربية، والجاديو، وأحتواء كثيرها لمعاملات وعوائد وتقاليد مصرية، سواء إسلامية كانت، أم مسيحية.
- **يتعذّر تناول تاريخ نهر النيل** وأشكال الحياة التي نشأت على ضفتيه، فضلًا عن أنماط التفاعل مع مجراه، دون الاستناد إلى وثائق المخاطبات والحجج والعقود الشرعية العائدة إلى تلك الحقبة، إذ إن هذه الوثائق تناولت جوانب متعدّدة من تاريخ النهر، وهو ما يمكن تنفيذه بالاعتماد على أوراق وقصاصات الجنيزا القاهرية، إذ حفظت لنا الأوراق طائفةً من هذه النصوص، الأمر الذي يجعل الاعتماد على المصادر الأدبية وحدها، في ظل وجودها، غير كافٍ لتأريخ النيل في تلك الفترة.
- **تعدّد المسميات** التي أُطلقت على النيل في سياقات مختلفة، ووجود تراتيل وأدعية ارتبطت بظاهرة الفيضان، مارسها بعض الأفراد على نطاق محدود، إيمانًا منهم بتأثيرها في وفاء النهر.
- **احتواؤها على جوانب حياتية** بالغة الأهمية لم ترد في المصادر الأدبية، مثل تحديد أجرة الانتقال عبر النهر، وأبرز المرافئ والمحطات التي كانت ترسو عندها سفن نقل الأفراد والبضائع.
- **إبراز أثر النيل في تحديد أسعار المنتجات**، ليس فقط تبعًا لمستوى فيضانه، بل أيضًا وفقًا لتكلفة النقل وموسميته، التي ارتبطت بدرجات ارتفاع منسوب المياه أو انخفاضه وما يترتب على ذلك من تغيّر في أجور النقل.
- **شيوع ارتباط بعض الأسماء الشخصية للتجّار والصنّاع بلقب "النيلي"**، بما يعكس عمق الصلة بين النهر والحِرف والمهن المرتبطة به.
- **إدراك الأفراد لخصوصية فيضان النيل وارتباطه بأرض مصر وحدها**، وهو ما يمثّل شكلًا مبكرًا من أشكال الوعي بمكانة مصر وفرادتها، كما عكسته بعض نصوص الجنيزا.

وفي ضوء ما سبق، يوصي الباحث بضرورة تكثيف الدراسات البحثية الموسّعة حول محتوى هذه القصاصات والأوراق خاصة أن ما يخص نهر النيل منها يعد بالآلاف، لاستجلاء مزيد من المعطيات والمقاربات التاريخية حول نهر النيل في السياق المصري خلال العصر الإسلامي

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤

الملاحق

نماذج من بعض أوراق وقصاصات الجنيزا التي تناولت جوانب من تاريخية نهر النيل

ملحق رقم (١)

- **نوع الوثيقة :قصاصة من الجنيزا**
- **المجموعة :رايلاندز(Raylands)**
- **الرقمJRL Series B 3857 :**
- **اللغة / الخط :الآرامية**
- **التاريخ 8 :ربيع الآخر ٤٤٨هـ – ٧ جمادى الأولى ٤٤٨هـ / ١٧ مايو – ١٥ يونيو ١٠٥٦م**
- **المضمون / الملاحظة الأساسية :ورود مسمى "نيلوس" كأحد أسماء نهر النيل.**

القراءة

الواجهة

١. זכרון עדות שהיה בפנינו אנו בית דין הקבוע במצרים והן[עדים

٢. החותמים עדותם למטה בשטר הזה בתרין בשבה ו

٣. יומ]ין[בירח סיון אלפא ותלת מאה ושתין ושב[עה] שנין

٤. ל[שטרות] בפסטאט מצרים דעל **נילוס** נהרא במותב כן הוה

٥. .....]..... רב .....אלא.....

٦. .....] ... [י]וסף .....

٧. .....] נן .....

٨. .....] .....

الترجمة

١. تذكار شهادة كانت أمامنا نحن، بيت الدين الدائم في مصر.
٢. والشهود الموقّعون بشهادتهم أسفل هذه الوثيقة في اليوم الثاني من الأسبوع و...
٣. في شهر سيوان، سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين سنة.
٤. وفق تقويم العقود في الفسطاط، مصر، على نهر نيلوس، في مجلس كما هو متعارف.
٥. ...الحاخام ... إلا...
٦. ...يوسف...
٧. ...نَن...
٨. ...

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- ديسمبر ٢٠٢٤

ملحق رقم (٢)

- نوع الوثيقة :ورقة جنيزا (حجة شرعية لتوزيع تركة)
- المجموعة :تايلور-شختر(Taylor-Schechter)
- الرقم: T-S 13J2.19
- اللغة / الخط :الجاديو-عربي(Judaeo-Arabic)
- التاريخ :تشرين الأول ١٤٤٨س / شعبان ٥٣٠هـ / أكتوبر ١١٣٦م
- المضمون / الملاحظة الأساسية :حجة شرعية تتعلق بتوزيع تركة، ورد فيها ذكر لنهر النيل.

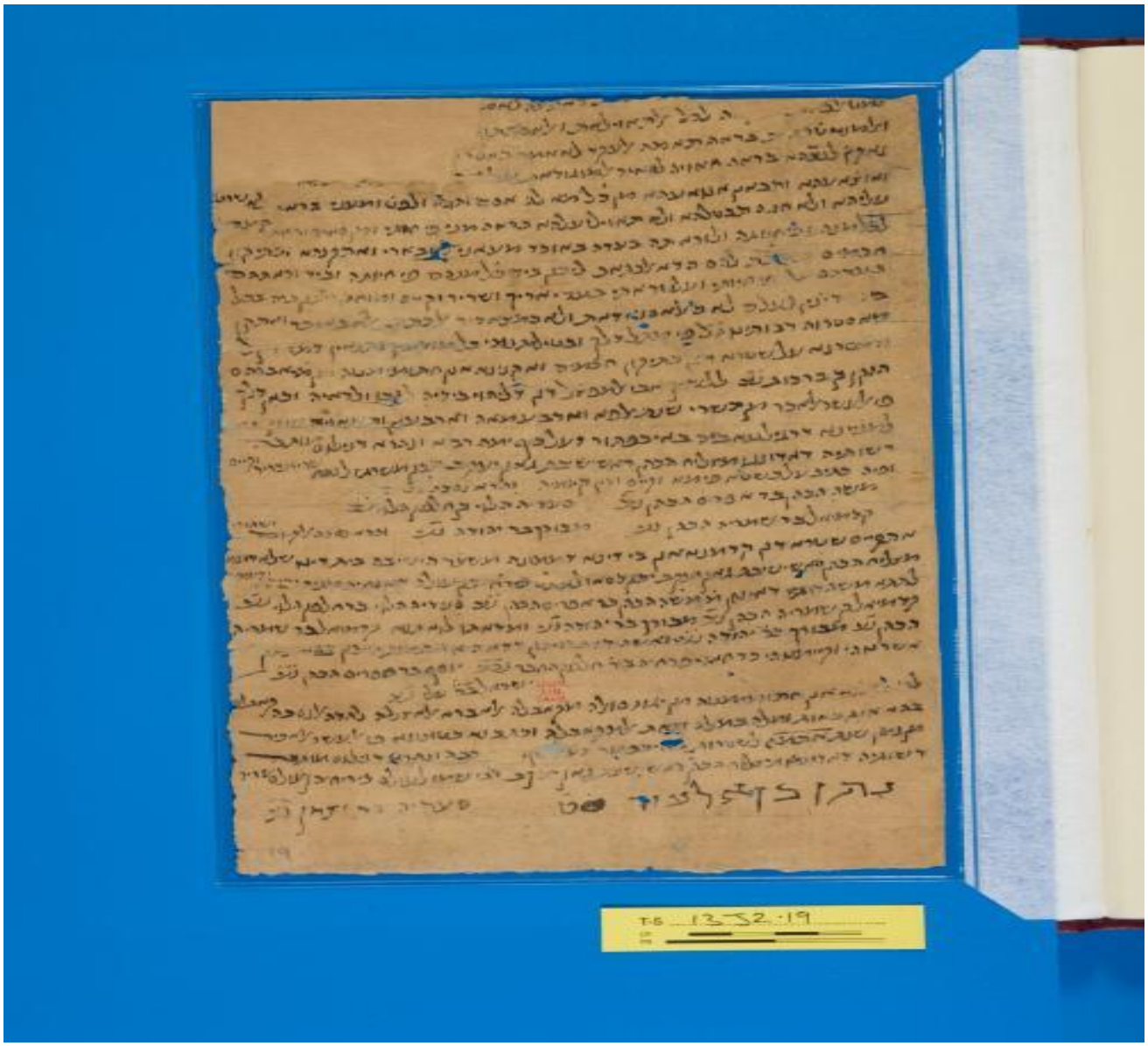

القراءة	الترجمة
١. מ]דאפעה לא ס[	١. **مدافعة لا س[...]**
٢. אלמטאלבנ]את]ת לכל אלתאוילאת ואלאסתתנ]את	٢. **المطالب[...]ة لكل التأويلات والاستثناء[...]**
٣. ואלמנאטראת בראה תאמה אלעקד לא אמר כאסר [	٣. **والمناظرات براءة تامة العقد لا أمر قاصر[...]**
٤. נאקץ לנצהא בראה חאויה לסאיר אלמוגודאת [	٤. **ناقص لنصها براءة خالية لسائر الموجودات[...]**
٥. ואוצאהא ותבאין אנואהא מן כל מא לה אסם והגא ולפט ומעני בראה לא שרט	٥. **وأوضاعها وتبيين أنواعها من كل ما له اسم وهوى ولفظ ومعنى براءة لا شرط**
٦. עליהא ולא חגה תבטלהא ולא תאויל יעלהא בראה מני פי חיותי ומן סאיר וראתי בעדי	٦. **عليها ولا حجة تبطلها ولا تأويل يعلوها براءة مني في حياتي ومن سائر ورثتي بعدي**
٧. לכל מנהם פי חיותה ולוראתה בעדה באוכד מעאני אלאבארי ואתקנהא וכתיקון	٧. **لكل منهم في حياتها ولورثتها بعدها بأخذ معاني الألفاظ وإتقانها وكتقنين**
٨. חכמים וכתבת להם הדא אלכתאב ליכון ביד כל מנהם פי חיותה וביד וראתהם	٨. **حكماء وكتبت لهم هذا الكتاب ليكون بيد كل منهم في حياتها وبيد ورثتها**
٩. בעדהם עלי פי חיותי ועלי וראתי בעדי אריך ושריר וקיים ומוחזק דיזכון ביה בכל	٩. **بعدهم عليّ في حياتي وعلى ورثتي بعدي صحيح وشرعي وقائم وممسوك يُحتج به في كل**
١٠. בתי דינין לעלם לא כאלאסנאדאת ולא כמצאדיר אלכתב אלא כאוכד ואתקן	١٠. **بيوت الديانة للأبد لا كالاستناد ولا كالمصادر المكتوبة بل كموثق ومتقن**
١١. מא סטרוה רבותינו זל פי מתל דלך ובטילית נמי כל מודעין ותנאין דמסירין לי	١١. **مما سطره ربّاتنا (ز"ל) في مثل ذلك وأبطلت أيضًا كل إقرارات وشروط أُسلمت لي**
١٢. ודמסרנא על שטרא דנן כתיקון חכמים ואקנינא אנן חתומי מטה מן מר אברהם	١٢. **وأُسلمنا على هذا السطر كتقنين حكماء. وأقررنا نحن الموقّعين أدناه من السيد إبراهيم**
١٣. הזקן בן ברכות נע ללשיך אבי אלמפצל דנן דליהוי בידיה לזכו ולראיה וכאן דלך	١٣. **الشيخ بن بركات (נ"ע) للشيخ أبي المفضل هذا ليكون بيده حجة وبرهان. وكان ذلك**
١٤. פי אלעשר אלאכר מן תשרי שנת אלפא וארבע מאה וארבעין ותמאניה שנין	١٤. **في العشر الأواخر من تشري سنة ألف وأربع مئة وثمان وأربعين سنة**
١٥. **למניינא דרגילננא ביה באי כפתור ועל כיף ימא רבא ונהרא דנילוס מותבה**	١٥. **للميلاد الذي اعتدنا عليه في جزيرة كفتور (דמיאט / دمياط) وعلى شاطئ البحر الكبير ونهر النيل مستقرة**
١٦. רשותיה דאדוננו מצליח הכהן ראש ישיבת גאון יעקב תכון משרתו לנצח שריר ובריר וקיים	١٦. **برئاسة سيدنا مصليح الكاهن رئيس يشيفت غאון يعقوب تكون خدمته إلى الأبد صحيحة راسخة قائمة**

١٧. ופיה כתיב על כש.א פימא וקיים ודין קיומיה והדא נסכה [נט

١٨. משה הכהן בר אפרים הכהן נע□ סעדיה הלוי בן חלפון הלוי נע

١٩. קדמיאל בר שמריה הכהן נע מבורך בר יהודה נע□ והדא נסכה אלקיום ושהודה

٢٠. אתקיים שטרא דנן קדמנא אנן בי דינא דממונה משער הישיבה בית דינו שלאדונינו

٢١. מצליח הכהן ראש ישיבת גאון יעקב יכון כסאו לעולם כירח יכון עולם דנוסחיה מניה וביה וקיומיה

٢٢. לתתא משהדוהי דאינון מ משה הכהן בר אפרים הכהן נע סעדיה הלוי בר חלפון הלוי נע□

٢٣. קדמיאל בן שמריה הכהן נע□ מבורך בר יהודה נע□ ומדאתו לואתנא קדמיאל בר שמריה

٢٤. הכהן נע□ מבורך בר יהודה נע ואשהידו תרויהון דדא היא חתמות ידיהון בסימניהון

٢٥. אשרנוהי וקיימנוהי כדחאזי פרחיה ביר חלפון החבר נבע□ יוסף בר אפרים הכהן נע

٢٦. ישראל בר עלי נע□

٢٧. למא סאלנא אנן חתומי מטה מן יגוז סואלה מקאבלה אלאברא אלאצליה להדה אלנסכה קאבלנא

٢٨. בהא אות באות ומלה במלה וצחת אלמקאבלה וכתבנא כטוטנא פי אלעשר אלאכיר

٢٩. <u>מן ניסן שנת אתמח□ לשטרות באי כפתור דעל [כ]יף [ימה] רבה ונהרא דנילוס מותבה</u>

٣٠. רשותיה דאדונינו מצליח הכהן ראש ישיבת גאון יעקב יהי שמו לעולם כירח יכון עולם שריר

٣١. נתן בן אלעזר סט סעדיה בר יצחק נע

١٧. وبه كُتب على كش.أ فيما هو قائم ودين قيامه وهذا نسخة[...]

١٨. موسى الكاهن بن إفرايم الكاهن ن"ع، سعديا اللاوي بن حلفون اللاوي ن"ع،

١٩. قدميئيل بن شمريا الكاهن ن"ع، مبروك بن يهودا ن"ع. وهذه النسخة للإثبات والشهادة.

٢٠. تم إثبات هذا السطر أمامنا نحن بيت الدين المعيّن من مشيخة اليشيفاه بيت دين سيدنا[...]

٢١. مصليح الكاهن رئيس يشيفت غאון **يعقوب يُثبت كرسيه للأبد كالقمر يكون ثابتًا أبديًا نصّه منه وفيه وقيامه**

٢٢. لتحت شهادة هؤلاء وهم: موسى الكاهن بن إفرايم الكاهن ن"ع، سعديا اللاوي بن حلفون اللاوي ن"ع،

٢٣. قدميئيل بن شمريا الكاهن ن"ع، مبروك بن يهودا ن"ع. ومن أجل ذلك التزمنا، قدميئيل بن شمريا

٢٤. الكاهن ن"ع، مبروك بن يهودا ن"ع، وأشهدا كلاهما أن هذه هي تواقيع أيديهما بعلاماتهما

٢٥. أثبتناها وأقررناها كما يليق. فرحية بن حلفون الحبر نבע**، يوسف بن إفرايم الكاهن ن"ع،**

٢٦. إسرائيل بن علي ن"ع.

٢٧. لما سُئلنا نحن الموقّعين أدناه إن كان يجوز سؤاله مقابلة البراءة الأصلية لهذه النسخة، قبلنا

٢٨. بها حرفًا بحرف وكلمة بكلمة وصحت المقابلة. وكتبنا كطُلطنا في العشر الأواخر

٢٩. <u>من تشرين سنة ١٤٤٨ للشطور في جزيرة كفتور (</u>דמיאט <u>/ دنياط) على شاطئ البحر الكبير ونهر النيل مستقرة</u>

٣٠. برئاسة سيدنا مصليح الكاهن رئيس يشيفت غאון **يعقوب ليكن اسمه إلى الأبد كالقمر ثابت أبديًا راسخًا.**

٣١. ناثان بن الעז**ار س"ط، سعديا بن إسحاق ن"ع.**

ملحق رقم:(3)

- نوع الوثيقة :قصاصة من الجنيزا
- المجموعة :تايلور–شختر(Taylor-Schechter)
- **الرقم: T-S 16.50**
- اللغة / الخط :العبرية
- التاريخ :بين ٤٣١–٤٣٩هـ / ١٠٤٠–١٠٤٧م
- المضمون / الملاحظة الأساسية :ورود مسمى "فيشون "كأحد الأسماء الدالة على نهر النيل.

القراءة	الترجمة
١٠- □זרע אברהם יצ[חק ויע]קב כי אשיב את שבותם ורחמתי[ם] ...[הצ]דיק באיש ה...	**١٠-وأيضًا نسل يعقوب وداود عبدي لن أرفض من أخذ من نسله حكّامًا على.«...**
١١- □סהל בן ישראל תהי לו גן עדן שכינת בטח ושאנן נחלה אשרי ... [צ]ורנו...	**١١-نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، لأنني سأردّ سبيهم وأرحمهم... الصديق في رجل الـ...**
١٢- □ נטוי על כל עובר ושב ואחיו הזקן אברהם אשר מנה ליעדנו... [؟]	**١٢-سهل بن إسرائيل، له جنّة عدن، وسكينة وأمان وميراث مبارك...**
١٣-□והוא להם כמוצא מים חיים אשר לא יכזבו מימיו והוא דומה...	**١٣-وأخوه الكبير إبراهيم، الذي عيّنه لموعدنا [...]، وهو لهم كمصدر مياه حيّة لا يخيب ماؤه، وهو يشبه...**
١٤- □ ואחיו ואהובנו הזקן אהרן יברכהו וירבהו [מתה]לך בתמו צדיק ... המק[רא]...	**١٤-وأخوه وحبيبنا الكبير هارون، يباركه ويكثره، السائر بكماله، الصدّيق... المقرّ...**
١٥- □שלומו ויעצים טובים אשרי בנו יחידו אהוב[נו יפ]ת יפארו וימלא ש[חוק פינ]ו וגזע...	**١٥-سلامه وخيراته العظيمة، طوبى لابنه الوحيد حبيبنا يافت، يفتخرون به، ويملأ فمنا بالضحك، وأصله...**
١٦- □יולדתך גיל יגיל אבי צדיק ויולד חכם ישמח בו	**١٦-أمك تفرح، وأبوك الصدّيق يفرح، والذي وُلد حكيمًا يفرح به.**
١٧- זה ספר אירוש שהיה לפנינו ביום כן וכן בשבוע שהוא כן וכן לחדש אייר מש[נת] א[לף] ו[ש]ל[ש] מא[ות]...	**١٧-هذا كتاب خطبة كان أمامنا في يوم كذا وكذا من الأسبوع، وهو كذا وكذا من شهر أيار، من سنة ألف وثلاثمائة...**
١٨- למספר יונים במדינת פסטאט מצרים שעל נהר ***פישון*** מושבה ביום הזה העיד הבחור אטוב הנפש הי[קר יפת ...]	**١٨-بحسب التقويم اليوناني، في مدينة الفسطاط بمصر، على *نهر فيشون* مقرّها.**

ملحق رقم:(4)

- نوع الوثيقة :ورقة من الجنيزا
- المجموعة :تايلور–شختر(Taylor-Schechter)
- **الرقم: T-S K25.189**
- اللغة / الخط :الجاديو– (Judaeo-Arabic) مع نص عربي في الخلفية
- التاريخ :بين ٤٤٢–٤٥٠هـ / ١٠٥٠–١٠٥٨م
- المضمون / الملاحظة الأساسية:
  - الواجهة :خطاب من أحد المرسلين إلى أهله في الإسكندرية، يذكر فيه فيضان النيل ويربطه برخاء البلاد وفتوحات الدولة في الشام.
  - الخلفية :نص بالعربية لا يرتبط بمحتوى الواجهة.

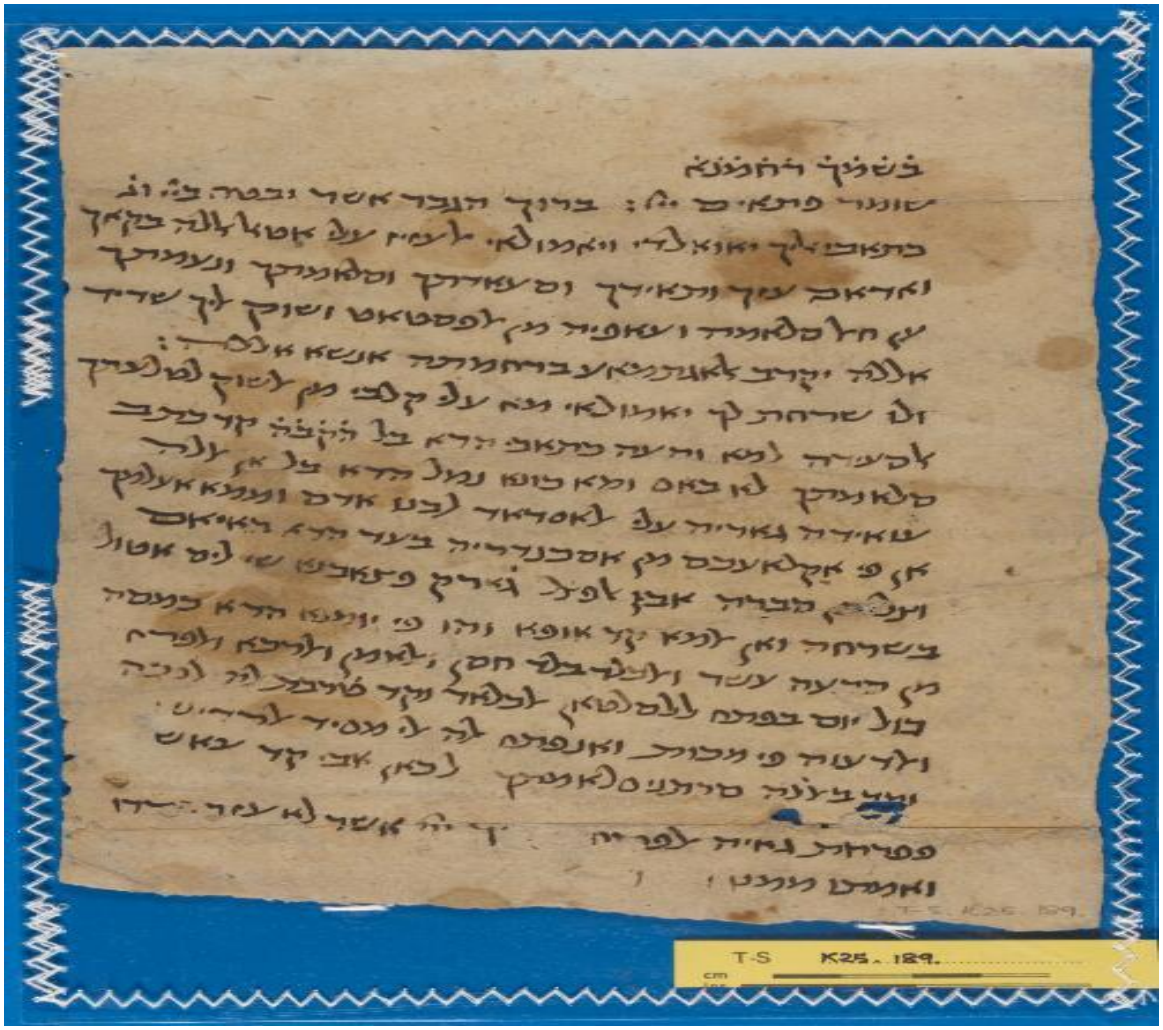

القراءة الترجمة

١. בשמך רחמנא

٢. שומר פתאים ייי ברוך הגבר אשר יבטח בייי וג

٣. כתאבי אליך יאואלדי ויאמולאי אלעזיז עלי אטאל אללה בקאך

٤. ואדאם עזך ותאידך וסעאדתך וסלאמתך ונעמתך

٥. ען חאל סלאמה ועאפיה מן אלפסטאט ושוק אליך שדיד

٦. אללה יקרב אלאגתמאע ברחמתה אנשא אללה

٧. ולו שרחת לך יאמולאי מא עלי קלבי מן אלשוק לטלעתך

٨. אלסעידה למא וסעה כתאבי הדא בל הקבה קד כתב

٩. סלאמתך לא באס ומא כונא נמל הדא בל אן אללה

١٠. עואידה גאריה עלי אלאסדאד(؟) לבנו אדם וממא אעלמך

١١. אן פי אקלאעכם מן אסכנדריה בעד הדא באיאם

١٢. וצל בן סברה אבן אלפצל גארק פצאבנא שי ליס אטול

١٣. **בשרחה ואן אלמא קד אופא והו פי יומנא הדא כמסה**

١٤. **מן סבעה עשר ואלבלד בלד חסן ואלאמן ואלרכא ואלפרח**

١٥. **כול יום בפתח ללסלטאן אלבלאד וקד טרבת לה אלסכה**

١٦. ואלדעוה פי מכות ואנפתח לה אלי מסיד(؟) אלרדיני

١٧. וקד באללה סרתני סלאמתך לכאן אבי קד עאש

١٨. פפרחת גאיה אלפרח [ברו]ך ייי אשר לא עזב חסדו

١٩. ואמתו ממנו

١. باسمك يا رحمن

٢. الرب يحفظ البسطاء، مبارك الرجل الذي يتوكّل على الرب

٣. كتبتُ إليك يا ولدي ويا مولاي العزيز عليّ، أطال الله بقاءك،

٤. وأدام عزّك وتأييدك وسعادتك وسلامتك ونعمتك،

٥. عن حال سلامة وعافية من الفسطاط، والشوق إليك شديد،

٦. أسأل الله أن يقرّب الاجتماع برحمته، إن شاء الله.

٧. ولو شرحتُ لك يا مولاي ما على قلبي من الشوق إلى طلعتك

٨. السعيدة، لما وسعه كتابي هذا، بل الكتاب قد كتب

٩. سلامتك، لا بأس، وما كنا نأمل هذا، بل إنّ الله

١٠. أعاده جاريةً على العباد لابن آدم. ومما أُعلمك:

١١. أنّه في إقلاعكم من الإسكندرية بعد هذا بأيام،

١٢. وصل ابن صبرة بن الفضل غارقًا، فأصابنا شيء لا أقدر

١٣. على شرحه. وإنّ الماء قد أوفى وهو في يومنا هذا خمسة

١٤. من سبعة عشر. والبلد بلد حسن وأمان ورخاء وفرح،

١٥. وكلّ يوم تُفتح للسلطان البلاد، وقد ضُربت له السكة،

١٦. والدعوة في مَكَوْت، وقد انفتح له إلى مَسيد(؟) الروديني.

١٧. وقد — بالله — سرّتني سلامتك، فهنا أبي قد عاش،

١٨. ففرحتُ غاية الفرح. **مبارك الرب الذي لم يترك لطفه

١٩. وصدقته منّا.

ملحق رقم:(5)

- نوع الوثيقة :ورقة من الجنيزا
- المجموعة :تايلور–شختر(Taylor-Schechter)
- الرقم: T-S AS 144.187
- اللغة / الخط :الجاديو–عربي(Judaeo-Arabic)
- التاريخ: 637 هـ / ١٢٣٩م
- المضمون / الملاحظة الأساسية :تضمن النص رصدًا دقيقًا لفيضان النيل على مدى أيام متتالية.

الواجهة

الخلفية

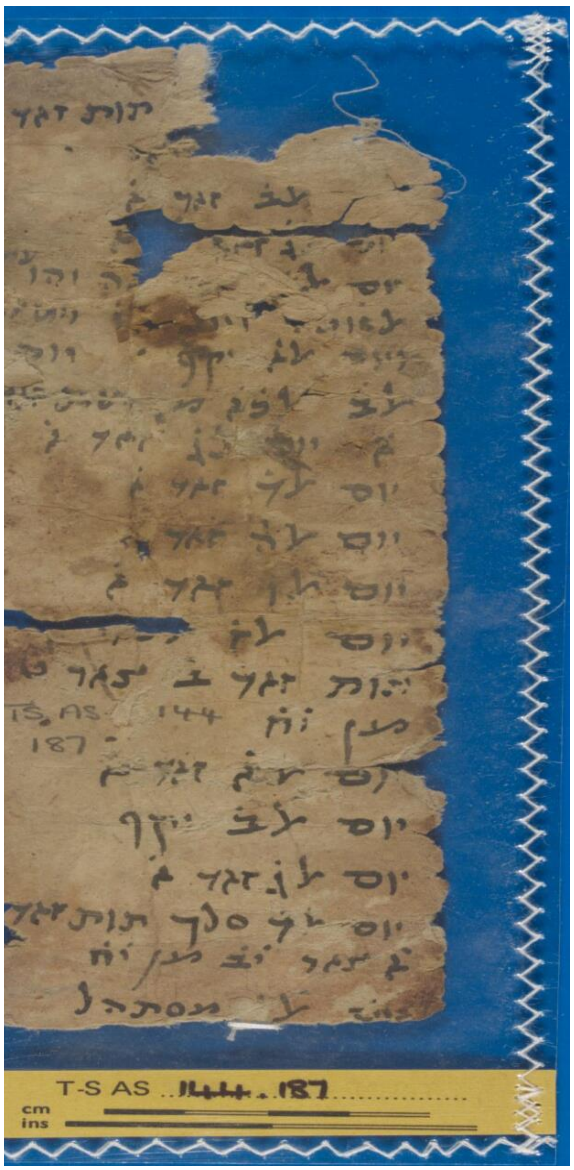

- **الترجمة**

الواجهة

١. بسم الرحمن
٢. المحرم سنة.....
٣. وســـت مائة ..... الموافق ... شهر
٤. الأول سنة ١٥٥٠ سلوقي
٥. الموافق ... لشهر مسرى بالقبطي
٦. ....يوم السبت ٢٧
٧. من مسرى ـــ زاد ١ ـــ يوم الأحد
٨. 28مسرى ـــ زاد ٢
٩. يوم الإثنين ٢٩ منه ـــ زاد...
١٠. ـــ 3يوم الثلاثاء سلخه ـــ زاد ٢
١١. صار ٨ من ١٧
١٢. يوم الأربعاء أول النسيم ويوم...
١٣. الخميس ويوم الجمعة ـــ وقف الماء
١٤. يوم السبت ٤ النسيم ـــ زاد ١
١٥. يوم الأحد ٥ النسيم
١٦. زاد ... ـــ يوم الإثنين ٦ النسيم
١٧. زاد ٢ ـــ صار ١٢ من ١٧
١٨. يوم الثلاثاء ١٧ النســـيم ـــ وهو النيروز أول توت
١٩. زاد ٢ ـــ ويوم الأربعاء ٢ توت
٢٠. توت ـــ زاد ٢ ـــ ويوم...
٢١. يوم الخميس ٣ توت ـــ وقف...
٢٢. ويوم الجمعة ـــ وقف، وفي السبت
٢٣. الخامس من توت ـــ زاد ١
٢٤. يوم الأحد السادس منه ـــ زاد ٢
٢٥. صار ١٩ من ١٧
٢٦. يوم الإثنين ـــ وقف، ويوم الثلاثاء...

الخلفية

١. .....توت ـــ زاد...
٢. .....
٣. .....الإثنين ـــ زاد ١
٤. ويوم الثلاثاء ـــ زاد ١
٥. ويوم الـ ... . ـــ وهو عيد
٦. الصوم.....
٧. ويوم الأحد ـــ وقف، ويوم...
٨. الإثنين ٢١ من توت ـــ زاد ١
٩. ويوم الثلاثاء ـــ زاد ١
١٠. يوم الأربعاء ـــ زاد ١
١١. يوم الخميس ـــ زاد ١
١٢. يوم الجمعة ـــ زاد ١
١٣. يوم السبت الـ ... من توت زاد ٢
١٤. صار ٩ من ١٨
١٥. يوم الأحد ـــ زاد ١
١٦. يوم الإثنين ـــ وقف
١٧. يوم الثلاثاء ـــ زاد ١
١٨. يوم الأربعاء سلخ توت زاد ١
١٩. صار ١٢ من ١٨
٢٠. يوم الخميس ـــ مستهل...

****

قائمة المصادر والمراجع.

أولاً: الوثائق

1. **AIU VII.D.1**
2. **Bodl. MS, heb. f 103/39**
3. **CUL, T-S, 10J8.11**
4. **CUL, T-S, 12.162**
5. **CUL, T-S, 13J14.2**
6. **CUL, T-S, 13J2.19**
7. **CUL, T-S, 16.288**
8. **CUL, T-S, 10J12.15**
9. **CUL, T-S, 16.50**
10. **CUL, T-S, 16.50**
11. **CUL, T-S, 6J4.1**
12. **CUL, T-S, 8.137**
13. **CUL, T-S, 8.180**
14. **CUL, T-S, 8J25.8**
15. **CUL, T-S, 8J32.5**
16. **CUL, T-S, Ar.30.102**
17. **CUL, T-S, Ar.38.119**
18. **CUL, T-S, Ar.39.23**
19. **CUL, T-S, H10.173**
20. **CUL, T-S, K2.51**
21. **CUL, T-S, Misc.8.84.**
22. **CUL, T-S, NS 288.179**
23. **CUL, T-S, NS 329.999**
24. **CUL, T-S, NS J570**
25. **CUL, T-S, AS 144.187**
26. **JTS, ENA 3951.1**
27. **JTS, ENA 3951.2**
28. **JRL, B 3857**
29. **JRL, L 165**
30. **Firk, Antonin Yevr, II A 1265**
31. **Firk, Antonin Yevr, Arab. II 1367**

ثانياً: المخطوطات

- الحجازي، بهاء الدين أحمد بن العماد (ت: ٨٧٥ هـــــ / ١٤٧٠ م): نيل الرائد في النيل الزائد، مخطوط محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس، رقم ٢٢٦١.

- الوطواط الكتبي، أبو إسحاق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي (ت: ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م): مباهج الفكر ومناهج العبر، مخطوط محفوظ في مكتبة بلدية إسطنبول، رقم ٤١٧٨.

ثالثاً: المصادر

- الأفقهسي، شهاب الدين أحمد بن العماد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): **أخبار نيل مصر**، تحقيق: لبيبة إبراهيم مصطفى، ونعمات عباس محمد، مركز تحقيق التراث، للقاهرة، ٢٠٠٦م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط٧، بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن زولاق، الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م): **فضائل مصر وأخبارها وخواصّها**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ابن دُقْمَاق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن إيْدَمُر العلائي (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٧م): **الانتصار بواسطة عقد الأمصار**، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م..
- الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت: بعد ٧٣٦هـ/١٣٣٥م): **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق محمد السعيد جمال الدين وآخرون، (القاهرة: قسم الدراسات الإسلامية، المعهد الألماني للآثار بالقاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)،ج٤-٧.
- ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان التنوخي المصري (ت: ٥٤٢ه/١١٤٧مـ): "**القانون في ديوان**" **يتلوه** "**الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة**"، تحقيق أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، بيروت، ١٩٩٠م،
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، المجمع الثقافي، ط١، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م. ج٣/ج١٢<

- القفطي، علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م): **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط١، القاهرة، ١٩٨٢م.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الكتاب المقدس: **العهد القديم، سفر التكوين**، ترجمة فلنديك، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، بيروت،١٨٦٥م.
- ابن الكندي، عمر بن محمد بن يوسف (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): **فضائل مصر المحروسة**، تحقيق: علي عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- أبو المحاسن، يوسف بن تغري بردي(ت:٨٧٤ه/١٤٦٩م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نشر دار الكتب** ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط١، القاهرة، د.ت.
- المخزومي، أبو الحسن علي بن عثمان (ت ٥٨٥هـ/١١٨٩م): **المنتقى من كتاب المنهاج في علم خراج مصر**، تحقيق: كلود كاهن، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨٦م.
- المسعودي، علي بن الحسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق شارل پلا، بيروت: جامعة لبنانية، قسم الدراسات التاريخية، ١٣٩٣ه/١٩٧٣م،
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ/٨٧٥م): **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م.
- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م):
  - **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، نشره جمال الدين محمد الشيال، ومحمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م.
  - **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال (ج١، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، وتحقيق محمد حلمي محمد أحمد (ج٢، ١٣٩١هـ/١٩٧١م؛ ج٣، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية).

- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- ابن مماتي، الأسعد (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م): **قوانين الدواوين**، تحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، ط١، القاهرة، ١٩٩١م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: ٧١١هـ/١٣١١م): **لسان العرب**، تحقيق اليازجي وآخرون، دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- المنوفي، شهاب الدين أحمد بن محمدين عبد السلام الشافعي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م):**الفيض المديد في أخبار النيل السعيد**، تحقيق محمد الزاهي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٢٠١٨م.
- ابن واصل، القاضى جمال الدين محمد بن سالم (ت:٦٩٧ه/١٢٩٨م):
  - **مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب**، تحقيق جمال للدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، ط١، القاهرة، ١٩٥٣م، ج.ـ٥.
  - **التاريخ الصالحى**، تحقيق عمر عبدالسلام تدمرى، المكتبة العصرية، ط١، بيروت، ٢٠١٠م، ج.٢.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): **معجم البلدان**، دار صادر، ط٢، بيروت، ١٩٩٥م.

رابعاً: المراجع العربية

- أحمد بن علي الدلجي: **الفلاكة والمفلوكون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- السيد فرقد الحسيني القزويني: **فيض العليم في معرفة التقويم**، مج١، مؤسسة الحلة للدراسات الإنسانية والعلمية والدينية، الحلة، ٢٠٢٣م.
- أنطوان زكري: **النيل في عهد الفراعنة والعرب**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.

- حسام قدوري عبد: **تأصيل الجذور السامية وأثره في بناء معجم عربي حديث**، دار الكتب والوثائق العراقية، بغداد، ٢٠٠٧م.
- حسنين محمد ربيع وآخرون: **دليل وثائق الجنيزا الجديدة**، مركز الدراسات الشرقية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- خالد طحطح: **البيوغرافيا والتاريخ**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠١٤م.
- خالد محسن جابر يعقوبي وخاليد فؤاد طحطح: **التاريخ من أسفل: في تاريخ الهامش والمهمش**، دار رؤية، القاهرة، ٢٠١٩م.
- سارة أحمد حسن: الأسرار **المخفية في وثائق جنيزا القاهرة: قراءة لأحوال مصر الحياتية في العصرين الفاطمي والأيوبي (القرن ١٠-١٣م/٤-٧هـ)**، دار مكتبة النجاح، الإسكندرية، ٢٠٢١م.
- سعيد عبد السلام العكش، وجهلان إسماعيل محمد: **الجنيزا القاهرية والمعركة بين مصر وإسرائيل**، مراجعة إبراهيم البحراوي، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١٦م.
- سعيد عبد السلام العكش، ومحمد جهلان إسماعيل: **وثائق الجنيزا اليهودية في مصر**، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٧م.
- سمية حسن محمد إبراهيم: **العادات المصرية القديمة في العصر الإسلامي**، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٩م.
- عبد الحميد سليمان: **الملاحة النيلية في مصر العثمانية ١٥١٧-١٧٩٨م**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- عبد المنعم عبد الحميد سلطان: **الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي**، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- علي شحيلات وعبد العزيز إلياس الحمداني: **مختصر تاريخ العراق (تاريخ العراق القديم)**، ج٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.
- عمرو منير: مصر **والنيل بين التاريخ والفولكلور**، سلسلة الدراسات الشعبية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- عمر عبد العزيز منير: **النيل والشخصية المصرية (أساطير وحكايات)**، فرست بوك للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٢٢م.
- قاسم عبده قاسم: **النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

- كلود كاهن: **الإسلام منذ نشوئه حتى ظهور السلطنة العثمانية**، ترجمة حسين جواد قبيسي، تحقيق علي نجيب إبراهيم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- كيث وايتلام: **اختلاق إسرائيل القديمة: إسكات التاريخ الفلسطيني**، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة فؤاد زكريا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩م.
- مارك كاهين: **المجتمع اليهودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى ٦٤١-١٣٨٢م**، ترجمة نسرين مرار وسمير نقاش، مراجعة سليمان جبران، مقدمة ساسون سوميخ، مكتبة لقاء، حيفا (فلسطين المحتلة)، ١٩٨٧م.
- محمد جمال الدين الفندي: **النيل، سلسلة العلم والحياة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- محمد حمدي المناوي: **نهر النيل في المكتبة العربية**، للدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- محمد مبروك أبو زيد: **مصر الأخرى: التبادل الحضاري بين مصر وإيجبت**، ج١، دار Mohamed Mabrouk، القاهرة، ٢٠١٩م.
- محمد خليفة حسن، والنبوي جبر سراج: **الجنيزا والمعابد اليهودية في مصر**، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- محمد محمود أبوزيد: **الريف المصري في العصر الإسلامي**، مكتبة الإيمان، المنصورة، ١٩٩٨م.
- محمد محمود أبوزيد: النيل ومصر: دراسة لأثر النيل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، دار الهداية، القاهرة، [ب.ت.].
- محمود رزق سليم: **النيل في عصر المماليك**، سلسلة المكتبة الثقافية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- نحمان دنستيج: **نزح الجنيزا: مقدمة كتاب سجل وثائق الكتابات الدينية اليهودية**، ترجمة فرج قدري الفخراني، بيان للترجمة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٢١م.
- وليم مارش(القس): **السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم: شرح سفر التثنية**، بيروت، ٢٠١٢م.

خامساً الرسائل الجامعية

- أسماء محمد مهنى :**المعتقدات الشعبية في مصر خلال العصر الفاطمي**، رسالة دكتوراه، جامعة المنيا، كلية الآداب، ٢٠٢٣م.
- صفاء محمد جابر صالح: **النيل وآثاره السياسية والحضارية على مصر منذ بداية العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي الأول (٣٥٨-٧٨٤هـ/٩٦٧-١٣٩٣م)**، رسالة دكتوراه، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، ٢٠١٨م.
- هيام طه صالح حسب الله **نهر النيل وأثره على المجتمع المصري خلال العصر الفاطمي (٣٥٨-٥٦٧هـ/٩٦٩-١١٧١م)**، رسالة ماجستير، جامعة أسوان، كلية الآداب، ٢٠٢٣م.

سادسًا: الأبحاث والمقالات

- أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: "**التعريف بوثائق الجنيزة**"، مجلة التاريخ والمستقبل، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المنيا، مج ٣٤، ع ٦٧ (يناير ٢٠٢٠م).
- سعيد مغاوري: **النيل في نصوص برديات القرن الأول الهجري**، بحث منشور في كتاب بحوث ودراسات في البرديات العربية، القاهرة: المجلس الأعلى للآثار، ٢٠٠٩م.
- عبد المنعم عبد الحميد سلطان: **بعض مظاهر المساوئ الاجتماعية في مصر الفاطمية**، مجلة كلية الآداب بجامعة سوهاج، ١٩٨٢م.
- عبد المنعم ماجد: **النيل في رسوم الدولة الفاطمية في مصر**، أعمال الندوة الدولية لحوض النيل، جامعة القاهرة، ١٩٨٧م.
- عطية القوصي: "**أضواء جديدة على تجارة الكارم – من واقع وثائق الجنيزا** ."**المجلة التاريخية المصرية**، ع ٢٢ (القاهرة: ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ٣٣.
- قاسم عبده قاسم: **نهر النيل في الأساطير العربية**، مجلة العربي، ع٢١، ١ أكتوبر ١٩٨٧م.
- مارك ر. كوهن: "**الجنيزا الإسلامية والجنيزا القاهرية الجديدة**"، ترجمة عصام عيدو .*مجلة التفاهم*، سلطنة عُمان: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، ع ٦٢ (٢٠١٨م/١٤٤٠هـ).
- محمد الزين: **التقويم السلوقي وأهميته التاريخية والحضارية**، دراسات تاريخية، ع٨٥-٨٦، ٢٠٠٤م.
- هيام طه صالح حسب الله: **النيل وآثاره السياسية على مصر خلال العصر الفاطمي**، مجلة كلية الآداب بجامعة أسوان، ٢٠٢٤م.

سابعًا: المراجع الأجنبية*(Foreign References) :*

- Ashtor, Eliyahu: ***History of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamlūks*** (in Hebrew) ،Vol. 3 ،Jerusalem: Mossad Harav Kook, 1970.
- Bamford, Heather. *Cultures of the Fragment: Uses of the Iberian Manuscript, 1100–1600*. Toronto Iberic 37. Toronto: University of Toronto Press, 2018.
- Fabian, Johannes, et al. (eds.): ***History from Below: The Vocabulary of Elisabethville*** *by André Yav* ،Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, 1990.
- Friedman, Mordechai A. "***Responsa of Abraham Maimonides on a Debtor's Travails***." In *Genizah Research After Ninety Years: The Case of Judaeo-Arabic*, edited by Joshua Blau and Stefan C. Reif, 131–160. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.
- Friedman, Mordechai A. "Responsa of Abraham Maimonides on a Debtor's Travails." In *Genizah Research After Ninety Years: The Case of Judaeo-Arabic*, edited by Joshua Blau and Stefan C. Reif. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.
- Friedman, Mordechai Akiva, and Amir Ashur: "**A Newly Discovered Autograph Responsum of Maimonides"** ،***Fragment of the Month*** ، **Cambridge**: Cambridge University Library, 2012.
- Gil, Moshe: *Documents of the Jewish Pious Foundations from the Cairo Geniza* ،Leiden: Brill, 1976.
- Glickman, Mark S. *Sacred Treasure: The Cairo Genizah*. Woodstock, VT: Jewish Lights Publishing, 2010.
- Glickman, Mark. ***Sacred Treasure—The Cairo Genizah: The Amazing Discoveries of Forgotten Jewish History in an Egyptian Synagogue Attic***. Woodstock, VT: Jewish Lights Publishing, 2010.
- Goitein, S. D., and Mordechai Akiva Friedman: *India Book 3: Abraham Ben Yijū, India Trader and Manufacturer: Cairo Geniza Documents* (in Hebrew) ،Jerusalem: Ben-Zvi Institute, 2010.
- Goitein, S. D.: "Side Lights on Jewish Education from the Cairo Geniza" ،*Gratz College Anniversary Volume* ،Philadelphia: Gratz College, 1971.
- Hoffman, Lawrence A., ed. *My People's Prayer Book: The Amidah*. Woodstock, VT: Jewish Lights Publishing, 1997.
- John P. Cooper: Medieval Nile: Route, Navigation, and Landscape in Islamic Egypt, (Cairo – New York, The American University in Cairo Press, 2014).

- Kahle, Paul E. *The Cairo Geniza*. London: Published for the British Academy by Oxford University Press, 1947.
- Katsh, A. I., Antonin A., and M. E. Saltykov-Shchedrin State Public Library. *The Antonin Genizah in the Saltykov-Schedrin Public Library in Leningrad*. New York: Institute of Hebrew Studies, New York University, 1963.
- Khan, Geoffrey A.: "A Copy of a Decree from the Archives of the Fāṭimid Chancery" ،*Bulletin of the School of Oriental and African Studies (BSOAS)* ،London: University of London, 1986.
- Khan, Geoffrey. *Arabic Legal and Administrative Documents in the Cambridge Genizah Collections*. Genizah Series. Cambridge: Cambridge University, 1993.
- Khan, Geoffrey. *Published Material from the Cambridge Genizah Collection: Volume 2, A Bibliography 1980–1997*. Cambridge: Cambridge University
- Khan, Geoffrey: "A Petition to the Fāṭimid Caliph al-ʿĀmir" ،*Journal of the Royal Asiatic Society* ،London: Cambridge University Press, 1990.
- McCalman, Iain, Colin A. Hughes, and Patricia Grimshaw (eds.): *History from Below: Studies in Popular Protest and Popular Ideology in Honour of George Rudé* ،Montreal: Concordia University, 1985.
- Sheir, Ahmed M., and Benjamin Outhwaite: "Fire and the Cross: A Historical Reading of the Anti-Christian Polemic in Two Jewish Arabic Poems from the Cairo Genizah" ،*Entangled Religions* ،Bochum: CERES, 2024.
- Toussoun, Omar: *Mémoire sur les anciennes branches du Nil: époque arabe* ،Cairo: Institut Français d'Archéologie Orientale (IFAO), 1923.

ثامنًا: الرسائل الجامعية الأجنبية*(Foreign Theses and Dissertations) :*

• Ackerman-Lieberman, Phillip: *A Partnership Culture: Jewish Economic and Social Life Seen Through the Legal Documents of the Cairo Geniza* ، PhD diss. ،Princeton: Princeton University, 2007.

• Weiss, Gershon: *Documents Written by Hillel ben Eli: A Study in the Diplomatics of the Cairo Geniza Documents* ،MA thesis ،Philadelphia: Dropsie College for Hebrew and Cognate Learning, 1967.